النظام التربوي الاسلامي

المقدمة

النظام التربوي والتعليمي هو الوسيلة الأساسية لكل أمة من أجل الحفاظ على هويتها وبناء حضارتها وهو عبارة عن منهج فكر وأسلوب حياة ونظام تنشئة للأجيال وإيجاد علاقة الإنسان بربه وبأخيه وبالحياة وبالكون.

والمنهج في النظام التربوي الإسلامي يوجه الإنسان ليعيش في نفسه بالإيمان بربه ومع أفراد مجتمعه بالبذل والمحبة والتعاون والنصيحة، ومع الكون بالتفهم والتدبر والاستعداد لما بعد الموت ، وكان طلب العلم أو تعليمه من أنبل الأعمال التي يطلب بها العامل مرضاة الله ، وطلب العلم فريضة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)).

يتكون النظام التربوي التعليمي من عدة مكونات أو عناصر ، وهي: ((السياسات العامة، وفلسفة التربية، والإدارة التربوية، والمنهج الدراسي، والمعلم، والمتعلم، والمبنى المدرسي والتمويل)).

قدم الإسلام الحنيف بناءً تربوياً متكاملاً للبشرية يحقق لهم السعادة في الدنيا والفوز بالجنة ورضوان الله بالآخرة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . ويتسم البناء التربوي الإسلامي بخاصية فريدة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام .

وهذا المصدر الإلهي للبناء التربوي هو الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق وفائدة العظمى للإنسان في الدنيا والآخرة معاً.

وينبثق النظام التربوي في الإسلام من النظام التفسيري والرؤية الصادقة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والإنسان ,فالله هو الخالق وهو سبحانه المنظم ومبدع الإنسان وخالقة بنوازعه وجوهره ، ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شؤونه ، وعلى تحقيق التوازن أو التعادلية المعجزة لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية .

وينطلق النظام الإسلامي في التربية من الفهم الصادق لحقيقة الإنسان والهدف من خلقة وأساليب تحقيق أهدافه ومصيره في الآخرة، وهي مقدمات لابد منها حتى يستوي النظام التربوي غاية ووسيلة ويحقق أهدافه.

مفهوم التربية

مصطلح التربية مصطلح شبه حديث، ظهر في الغرب أولًا وأدرج في المعاجم الغربية عام 1549، وكان يستخدم المصطلح للدلالة على ((**تربية النبات والحيوان وتهذيب البشر**)) دون تفريق بينها حتى منتصف القرن السابع عشر عندما قصد بالتربية ((تنمية الجسد والنفس والتركيز على العناية التي تقدم لتعليم الأطفال نفسياً وجسدياً)).

بينما نجد أنّ مفهوم مصطلح التربية في الإسلام ومحتواه قد وجد مع الآيات الأولى للقرآن الكريم عندما خاطب تعالى نبيه الأمي بقوله: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} وغيرها من الآيات في السور الأخرى، وذلك قبل ألف وأربعمائة سنة.

وتختلف المفاهيم أو التعاريف حول التربية بسبب اختلاف الأشخاص ونظرتهم إلى الإنسان وأعراقهم وبيئاتهم مثل العلماء والمفكرين والفلاسفة والتربويين.

مفهوم التربية لدى الأمم:

تعددت مفاهيم التربية بتعدد المدارس التربوية وأهدافها ، فقد ذكر علماء التربية والتاريخ أقوام وحضارات اهتمت بالتربية والتعليم وظهرت فيها مدارس لها نظامها التربوي الخاضع لسلطان الدولة، ومن هؤلاء الأقوام المصريين القدماء أو الفراعنة والإغريق والرومان ودولة الكنيسة (النصارى) والعرب الجاهلية والمسلمين.

- مفهوم التربية عند المصريين القدماء: التعليم من أجل خدمة الفرعون أو من أجل خدمة المعبد إلى جانب تعلم الأخلاق الفاضلة.
- مفهوم التربية عند الإغريق (اليونانيين): هو خلق مواطن متدرب على صنوف القتال للدفاع عن الوطن ومواطن متعلم يسهم في العمل في الزراعة والتجارة والفلسفة.

- مفهوم التربية عن الرومان الاهتمام بالأخلاق ودور الأسرة في تربية الأبناء والاهتمام بالتربية العسكرية.
- مفهوم التربية عند الكنيسة في العصور الوسطى خلق إنسان ورع مسالم ومدافع عن تعاليم الكنيسة.
- مفهوم التربية عند عرب الجاهلية: الانتماء إلى القبيلة والدفاع عنها.
- تعريف جون ديوي :التربية هي الحياة وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئه.

مفهوم التربية لدى مفكري الإسلام:

وهذه بعض التعريفات التي أدلى بها بعض مفكري وتربويي الإسلام عن التربية:

أولًا: تعريف الغزالي: معنى التربية توجيه وإرشاد واصطفاء وانتقاء (إحياء علوم الدين 60/3).

ثانيًا: تعريف رفاعة الطهطاوي (ت 1873م) : التربية هي التي تبني خُلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل وتنمي فيه الفضائل التي تصونه من الرذائل وتمكنه من مجاوزة ذاته للتعاون مع أقرانه على فعل الخير.

ثالثًا: تعريف إسماعيل محمود القباني (ت 1963): التربية هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته المادية والروحية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه.

رابعًا: تعريف ساطع الحُصري (ت 1968) : التربية هي تنشئة الفرد، قوي البدن، حسن الخلق، صحيح التفكير، محباً لوطنه، مدركاً واجباته، مزوداً بالمعلومات اللازمة له في حياته.

خامسًا: تعريف مقداد يالجن التركي (ت 2020م): تنشئة وتكوين إنسانٍ سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية".

أساليب التربية في الإسلام

ومن المؤرخين من صنف التعليم والتربية في النظام الإسلامي إلى: تعليم في الكتاتيب (جمع الكتاب) حيث يتعلم الطفل في السن السادسة أو السابعة قراءة القرآن وحفظه وتعلم مباديء الحساب والخط ، وهناك تعليم العلوم الشرعية من الفقه والأصول والحديث والتفسير وعلم الكلام والفلسفة وحضور مجالس العلماء.

وذكر بعض الكتاب والباحثين الإسلاميين أن للتربية أنواعاً وهي تعد من أساليب التعليم والتعلم كما هو في المدارس المعاصرة، أهمّها ما يأتي:

أولًا: التربية بالملاحظة:

والمقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي"، وهذا يعني أن الملاحظة لا بد أن تكون شاملة لجميع جوانب الشخصية (تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، 691/2 – 698).

ومع ذلك، فينبغي الحذر من التضييق على الولد ومرافقته في كل مكان وزمان، لأن الطفل وبخاصة المميز والمراهق يحب أن تثق به وتعتمد عليه، ويحب أن يكون رقيباً على نفسه، ومسئولاً عن تصرفاته، بعيداً عن رقابة المربي، فتتاح له تلك الفرصة باعتدال.

ثانيًا التربية بالعادة :

وتشمل الأعمال العبادية والآداب الاجتماعية وأنماط السلوك الحسن. ويبدأ تكوين العادات في سن مبكرة جداً، فالطفل في شهره السادس يبتهج بتكرار الأعمال التي تسعد من حوله، وهذا التكرار يكون العادة، ويظل هذا التكوين حتى السابعة، وحرص الإسلام أن لا تحول العادة إلى دلال فتفسد التربية.

وترجع أهمية التربية بالعادة إلى أن حسن الخلق كسلوك إيجابي يغرس من خلال الطبع والفطرة والتعود والمجاهدة والتكرار.

ثالثًا: التربية بالإشارة والأمور الحسية:

وهي عبارة عن إصدار إشارة وحركة من اليد أو تغير ملامح الوجه عند حصول عمل غير مرغوب به لدى المتعلم أو الطفل، خاصة وهو في جماعة من الناس وهذه الإشارة تجعله يرتدع عن فعله غير اللائق خاصة إذا لم يكن معانداً.

رابعًا: التربية بالموعظة:

الموعظة عبارة عن إرشاد وتوجيه، حال صدور سلوك غير سوي. وتشتمل الموعظة: الموعظة من خلال قصة هادفة، وحوار هادىء، وضرب الأمثلة، واستغلال الحدث والواقعة. إذ يعد الأسلوب القصصي في التربية من أنجح الأساليب لما للقصة من سحر وتأثير كبيرين على نفس السامع وعقله، ولما يمكن أن تؤديه القصة من خلال مضامينها التربوية من دور في غرس الإيمان والقيم والاتجاهات والميول المطلوبة في نفس الفرد خاصة في مرحلة الطفولة وإن كان أثرها يمتد على مدى حياة الإنسان.

خامسًا: التربية بالترغيب والترهيب :

الترغيب والترهيب من العوامل الأساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الاجتماعية.
والترغيب نوعان: معنوي ومادي، ولكل درجاته؛ فابتسامة الرضا والقبول والتقبيل والضم والثناء وكافة الأعمال التي تبهج الطفل هي ترغيب معنوي في العمل. وتقديم الهدايا والمكافئات عند قيام الطفل بأداء فعل أو خلق سوي يعتبر ترغيب مادي.
أمّا بخصوص الترهيب فقد أثبتت الدراسات الحديثة حاجة المربي إلى الترهيب أيضًا بجانب الترغيب، وأن الطفل الذي يتسامح معه والداه يستمر في إزعاجهما، والعقاب يصحح السلوك والأخلاق، والترهيب له درجات تبدأ بتقطيب الوجه ونظرة الغضب والعتاب وتمتد إلى المقاطعة والهجر والحبس والحرمان من الجماعة أو الحرمان المادي والضرب (وهو أخر درجاتها).

سادسًا: التربية بالقدوة :

يحس الطفل بالحاجة إلى الانضواء تحت راية كائن مرموق، فيتجه إلى الاقتداء بالوالدين أو الإخوة أو المعلمين أو الأصدقاء، ثم يتحول الاقتداء إلى عملية فكرية يمتزج فيها الوعي والانتماء بالمحاكاة والاعتزاز، ويظل محتاجاً إلى القدوة في كل مراحل حياته.

وأهمية أسلوب الاقتداء هي أنه من عوامل الإصلاح وكلما كبر الطفل تعدد الأشخاص الذين ينالون إعجابه ويقتدي بهم كالرفقة والمعلم والجار.

وقد تكون بيئة الطفل واسعة، فيها الجد والجدة واللذين يؤثران في سلوك الطفل لعلاقتهما الحميمة به، كما أن وجود الخدم والمربيات واهتمامهم بالطفل يجعله مقتدياً بهم، يقتبس من سلوكهم حسب محبته لهم واختلاطه بهم.

ومن الخطأ أن يعجب الوالدان بتقليد ولدهما للاعب أو ممثل أو مغن ولو كان ذلك التقليد طريفاً، لأن هذا يغرس محبة القدوة السيئة في نَفس الطفل دون شعور الوالدين.

ومن الخطأ كذلك شراء الملابس أو الأدوات التي تحمل صور المنحرفين أو أسمائهم أو ألبستهم الخاصة لأن هذا يورث الاقتداء بهم.

سابعاً: التربية السلوكية باقتلاع العادات السيئة وتكوين العادات الصالحة:

أن الإسلام نبه إليه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي سادت مجتمع الجاهلية، وكان السبيل إلى ذلك أمرين: الأول هو القطع الحاسم الفاضل، والثاني أسلوب التدريج البطئ.

أهداف التربية:

تعكس هذه الأهداف فلسفة المجتمع وعقائده وعادات الشعوب ، لذا الأهداف تختلف من حضارة إلى حضارة ومن عرق وجنس إلى آخر ومن مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

وقد تكون الأهداف التربوية إما أهداف روحية أو أهداف فكرية أو أهداف نفسية أو أهداف بدنية أو

أهداف مادية أو أهداف اجتماعية.

وإذا كانت الدنيا هدف التربية عند اليونان والرومان وكانت الآخرة والتحضير لها غاية التربية المسيحية، فقد حض الإسلام على الجمع بين الاثنين. قال تعالى في كتابه العزيز: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا} وجاء في أثر: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ".

وعلى هذا فقد كانت غاية التربية الإسلامية أن تهيئ الطفل لدنيا يعيش فيها كعضو نافع بالمقدار الذي لا يفسد دينه ولا يصرفه عن آخرته، يعني تربية بشر صالح.

أمّا بخصوص أصحاب الديانات السموية ومنها نبي الإسلام ﷺ فقد يركزون على الأهداف الروحية والمعنوية وهو أن غرض التربية والتعليم هو طلب العلم لطلب مرضاة الله سبحانه، وتزكية النفس، إلى جانب الأهداف الأخرى؛ مثل: معرفة الله وطاعته، ومعرفة النفس وبواطن القوة والضعف فيها، وإقامة العدالة الاجتماعية، والإيمان بيوم المعاد، وعمارة الأرض (التسخير والاستعمار).

وأما بقية الأهداف فهي تأتي بعد ذلك، بينما الحضارات المادية السابقة وقبل حضارة الإسلام ترى أن الاهتمام بتربية النشء، إنما يكون عن طريق التربية العسكرية وتقوية الأبدان على الصعاب والمشاق، كما بالنسبة للأغريق والرومان وغيرهم من أجل بسط النفوذ وتوسعة رقعة الإمبراطورية، أو تربية فكرية من أجل جدال الآخرين خاصة بين الفلاسفة والمفكرين.

أهداف التربية الإسلامية

1- الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق.

2- تطوير سلوك الفرد وبناء أوتغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية.

3- إعداد الفرد لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا.

4- بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي تقوم نظمه على أساس شريعة الإسلام استناداً إلى الكتاب والسنة.

5- إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض.

6- غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر.

أبعاد النظام التربوي الإسلامي

النظام التربوي الإسلامي يأخذ في الاعتبار مجموعة من الأبعاد وهي:

أولاً : تحديد الصلة بين الخالق البارئ المصور وبين الإنسان المخلوق.

ثانياً: تنظيم أمور الناس في الدنيا وعلاقتهم ببعضهم البعض سياسياً واقتصادياً وأسرياً وتربوياً .....الخ فالإنسان خلق ليعيش فترة ما في الحياة الدنيا وهو محتاج للشريعة التي تنظم له شؤونه الدنيوية وعباداته معاً.

ثالثاً: بيان كيفية تحقيق الهدف السامي من استخلاف الله للإنسان في الأرض، وأسلوب معيشته على الرقعة المكانية التي تشمل الكرة الأرضية كلها بشكل يحقق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان الذي كرمة الله على سائر خلقه.

رابعاً : مراعاة البعد الزمني لعمر المتعلم فهو يبدأ في الدنيا ويمتد إلى الآخرة عبر مستقبل غير متناه.

أهم الأسس العامة التي تقوم عليها التربية الإسلامية

أولاً : التربية الإسلامية تحقق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الإنسان: فالتربية لاتركّز على جانب واحد من الشخصية ـ الروحي أو العقلي أو الجسمي أو الانفعالي أو الاجتماعي ـ وإنما تهتم بجميع هذه الجوانب معاً.

ثانياً: التربية الإسلامية تحقق للإنسان التوازن: ويتضح هذا في قول الرسول ﷺ أنه يرفض التطرف في العبادة وإنه يقوم وينام ويصوم ويفطر ويتزوج النساء.

ثالثاً: التربية الإسلامية تربية فكرية وسلوكية وعملية معاً: تتعدى العقيدة الإسلامية مجال القلب إلى العمل فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل وكثيراً ما اقترن العمل الصالح بالإيمان في آيات القران الكريم.

رابعاً: تجمع التربية الإسلامية بن الطابع الفردي والاجتماعي معاً: تركز التربية الإسلامية على تنشئة الفرد على الفضيلة وعلى تحمل المسؤولية فكل امرئ بما كسب رهين، وكل مسلم راع وكل راع مسؤول عن رعيته. فالمسؤولية في الإسلام مسؤولية فردية، كل إنسان مسؤول أمام الله سبحانه عن أعماله بعد أن منحه عقلاً وأرسل له الرسل للهداية وأنزل إليه الكتب وبين له طرق الخير والشر، وأعطى له الجهاز الذي يميز به وفطره أصلاً على الميل للتوحيد.

خامساً: التربية الإسلامية تنشئ الفرد على مراقبة الله سبحانه: فالتربية الإسلامية تعمل منذ اللحظة الأولى على غرس الدوافع الإيمانية في نفس الفرد تلك الدوافع التي تملك علية فكره وسلوكه فهو يراقب الله في عباداته وعمله وأكله وشربه وزواجه وعلاقته بزوجته وأبنائه .....الخ

سادساً: التربية الإسلامية تحافظ على فطرة الإنسان النقية وتعلي غرائزه الفطرية: تحافظ التربية الإسلامية على فطرة الإنسان، فكما يخبرنا الرسول ﷺ مامن مولود إلا ويولد على فطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه، وقد خلق الله سبحانه وتعالى عباده حنفاء.

سابعاً:التربية الإسلامية تربية موجهة نحو الخير: يستهدف الإسلام أساساً تقدم الإنسان وتمتعه بالخيرات والرحمة به.

ثامناً : التربية الإسلامية تربية مستمرة: فهي لاتنتهي بفترة زمنية معينة وإنما تمتد من المهد إلى اللحد تدعم باستمرار عقيدة التوحيد عند الإنسان وتدعوه باستمرار لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة.

تاسعاً: التربية الإسلامية تربية عالمية منفتحة: فالإسلام دين لكل البشر وليس لأقوام محددة كما هو الحال في الديانات السابقة عليه.

عاشراً: التربية الإسلامية تجمع بين المحافظة والتجديد: فهي محافظة بالنسبة لمجال المعتقدات وما تقوم عليه من مبادئ سماوية خالدة وتقاليد راسخة وقيم عريضة وترفض البدع.

مبادئ التعلم في النظرية التربوية الإسلامية

أولاً: الربط بين النظرية والتطبيق:

يعد هذا المبدأ من أحدث مبادئ التعليم التي لم ينتبه إليها رجال التربية إلا مؤخراً، وقد سبق أن نبه القرآن الكريم إلى هذا المبدأ وهو ربط المعلومات النظرية بالتطبيق والممارسات العملية. ويذكر ابن مسعود أن الرجل في زمان الرسول ﷺ إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن ويعمل بهن.

ثانياً : مراعاة استعدادات المتعلم وقدرته الاستيعابية والإدراكية :

نبه القرآن الكريم إلى مايطبق عليه علم النفس الحديث الفروق الفردية، فالأفراد تتفاوت قدراتهم العقلية واستعداداتهم وميولهم وذكائهم.... كذلك فقد نبه القران الكريم إلى ضرورة أخذ خصائص كل مرحلة من مراحل النمو في الاعتبار عند أعطاء الجرعات التعليمية والتربوية للأفراد، قال تعالى " لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "(البقرة-286).

ثالثا : تكوين الاتجاهات قبل الفهم واستيعاب المعلومات:

نبه القرآن الكريم إلى ضرورة تكوين الاتجاهات الايجابية نحو قضية أو علم أو موضوع ما قبل تلقي المعلومات والتفصيلات بشأنه، وهو ما يطلق عليه اليوم تحقيق التهيؤ الذهني والنفسي لدى المتعلم. ويتضح هذا في أول سورة البقرة التي توضح أن الكتاب الكريم موجه للذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله سبحانه. وما لم يتكون الاتجاه الإيماني السليم لدى المتعلم في مجال العقيدة، فلن تجدي محاولات الإقناع والتعليم والبرهان ....الخ.

رابعاً: تسهيل العملية التعليمية وتيسير حصولها:

يحرص الإسلام باستمرار على التيسير على المؤمن فالدين يسر لا عسر فيه، وكان النبي صلى الله علية وسلم يوصي بالرفق بالمتعلمين وتسهيل أمورهم.

خامساً: التعزيز من خلال الاستفسار والمراجعة والمناقشة:

يوضح لنا القران الكريم والسنة المطهرة إمكان النقاش والاستفسار من أجل الفهم وزيادة اليقين قال تعالى"وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" (البقرة-260)، وكان أصحاب الرسول ﷺ يكثرون الاستفسار منه من أجل زيادة الفهم وتأكيد اليقين.

العوامل المؤثرة في التربية

هناك جملة عوامل رئيسة تؤثر على التربية والعملية التربوية، أهمّها:

أولًا: الوراثة:

الوراثة عبارة عن الصفات التي يرثها الطفل من أبويه وهذه الصفات هي الجينات التي تنتقل من خلال البويضة للأنثى والحيوانات المنوية للرجل وتشكل خلية أو نطفة للجنين، وهذه الصفات:

- إما جسمية أي الشكل الخارجي لجسم الإنسان.
- أو عقلية وهي درجة ونسبة الذكاء والفهم والحفظ.
- أو نفسية وهي المشاعر والانفعالات والحالات الإيمانية، والصفات الأخلاقية الإيجابية مثل الكرم والصبر والشجاعة والإيثار وحسن الخلق والتواضع والصفات السلبية مثل البخل والأنانية والتكبر
- أو اجتماعية وهي درجة توافقه وتفاعله مع الآخرين وقابليته للتعاون والمساعدة والبناء الاجتماعي.

وقد أكد علماء النسب على الصفات الوراثية التي تظهر في أفراد القبائل تجعل القبيلة تمتاز عن غيرها بصفات ثابتة بل وتشكل هذه الصفات نوع السلوك والحرف التي يزاولها أفرادها على مر العصور ، فقبيلة تمتاز بالشجاعة وقبيلة يتصف أفرادها بالجبن وقبيلة تمتاز بالكرم وقبيلة يمتاز بعض أفرادها بالنبوغ والذكاء وقبيلة يمارس أفرادها الزراعة.

لقد أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة بين عامل الوراثة وانحراف الأحداث إذ أن أكثر السلوك الإجرامي الذي يظهر على الأحداث بسبب انحراف الأبوين أو أحدهما بعد دراسة شجرة العائلة في الإجرام، أو ضعف عقل الحدث وقلة ذكائه الذي ورثه من أبويه أو من أحدهما، على الرغم من أن بعض المهتمين بشئون جرائم الأحداث يقللون من شأن الوراثة وأن دوره محدود في انحراف الأحداث و يركزون على عامل البيئة الاجتماعية ورفقاء السوء كسبب أهم في إجرام الحدث.

دور الأسرة المسلمة هام في كيفية التعامل مع عامل الوراثة وإيجاد الذرية السوية والصالحة ، فبمقدار دقة كلا الزوجين في حسن اختيار الزوج وفق الشرع وحرصه على أن يكون من سلالة طاهرة ومنبت صالح وعلى أن يكون خالياً من العيوب الوراثية الجسمية والعقلية والخلقية، وفحص الدم للتعرف على الأمراض الوراثية للزوجين كما يطبق هذا الشرط في كثير من دول العالم قبل الزواج ، يتحقق في النسل الآثار التربوية الصالحة للوراثة ويعصم من آثارها السيئة بإذن الله تعالى إن ذلك يمتد إلى مرحلة سابقة لزواج آبائهم بأمهاتهم فيبدأ منذ أن يفكر أحد الأبوين في اختيار شريكه في الحياة فضلاً عن ذلك فإن بإمكان الأسرة القضاء على كثير مما يظهر لدى الأطفال من صفات وراثية سيئة أو تعديلها وتوجيهها في غير

الاتجاه الضار، فإن كانت الأسرة رشيدة في مناهج التربية وقت الناشئة من شرور هذه الصفات الضارة وإلا جلبت على الناشئة أضراراً وراثية بليغة تلازمهم والأجيال المتعاقبة.

ثانيًا: الأسرة:

إن الأسرة أحد العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي، وتشكيل شخصية الطفل واكتسابه العادات التي تبقى ملازمة له طوال حياته، فهي البذرة الأولى في تكوين نمو الفرد و بناء شخصيته، فأن الطفل في أغلب أحواله مقلد لأبويه في عاداتهما وسلوكهما فهي أوضح مقصدًا وأقل تنظيمًا، وأكثر إحكامًا من سائر العوامل التربوية.

أهمية الأسرة

إن الأسرة لها أثر ذاتي في التكوين النفسي في تقويم السلوك الفردي وبعث الحياة والطمأنينة في نفس الطفل, فمنها يتعلم الطفل اللغة ويكتسب بعض القيم والاتجاهات، وقد ساهمت الأسرة في طريق مباشر في بناء الحضارة الإنسانية وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس ولها يرجع الفضل في تعليم الإنسان لأصول الاجتماع، وقواعد الآداب والأخلاق، كما هي السبب في حفظ كثير من الحرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم وذلك في العصور القليلة الماضية.

واجبات الأسرة

إن الأسرة مسئولة عن نشأة أطفالها نشأة سليمة متسمة بالاتزان والبعد عن الانحراف، وعليها واجبات ملزمة برعايتها هي-:

أولا:- أن تشيع في البيت الاستقرار والود والطمأنينة وأن تبعد عن جميع ألوان العنف والكراهية والبغض. فأن أغلب الأطفال المنحرفين الذين تعودوا على الإجرام في كبرهم، كان ناشئاً ذلك على الأكثر من عدم الاستقرار العائلي الذي فنيت به الأسرة، كما أشارت الدراسات التربوية والاجتماعية ، يقول بعض المربين:

نحن لو عدنا إلى مجتمعنا الذي نعيش فيه فزرنا السجون والشوارع ومستشفيات الأمراض العقلية. ثم

دخلنا المدارس وأحصينا الراسبين من الطلاب, والمشاكسين منهم والمتطرفين في السياسة, والذاهبين إلى أبعد الحدود, ثم درسنا من نعرفهم من هؤلاء لوجدنا إن غالبيتهم حرموا من الاستقرار العائلي, ولم يجدوا معظمهم بيتا هادئا فيه أب يقسو عليهم, وأم لم تدرك معنى الشفقة, فلا تفرط في الدلال ولا تفرط في القسوة وفساد البيت أوجد هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية, أوجد هذا الجيل الحائر الذي لا يعرف هدفا ولا يعرف له مستقراً.

إن إشاعة الود والعطف بين الأبناء له أثر بالغ في تكوينهم تكوينا سليما, فإذا لم يرع الآباء ذلك فان أبناءهم يصابون بعقد نفسية تسبب لهم كثيراً من المشاكل في حياتهم ولا تثمر وسائل النصح والإرشاد التي يسدونها لأبنائهم ما لم تكن هناك مودة صادقة بين أفراد الأسرة, وقد ثبت في علم النفس أن أشد العقد خطورة, وأكثرها تمهيداً للاضطرابات الشخصية هي التي تتكون في مرحلة الطفولة الباكرة خاصة من صلة الطفل بوالديه كما إن تفاهم الأسرة وشيوع المودة فيما بينهم يساعد على نموه الفكري وازدهار شخصيته.

ثانياً :- أن تشرف الأسرة على تربية أولادها وقد نص علماء الاجتماع على ضرورة ذلك وأكدوا أن الأسرة مسئولة عن عمليات التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها في صورة تؤهله فيما بعد لمزيد من الاكتساب, وتمكنه من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع كما أكد علماء التربية على أهمية تعاهد الآباء لأبنائهم, بالعطف والحنان والحب عليهم والرأفة بهم حفظاً وصيانة لهم من الكآبة والقلق.

وقد ذكرت **مؤسسة اليونسكو** في هيئة الأمم المتحدة تقريرا مهما عن المؤثرات التي تحدث للطفل من حرمانه من عطف أبويه جاء فيه:

إن حرمان الطفل من أبيه وقتيا كان أم دائمياً – تثير فيه كآبة وقلقا مقرونين بشعور الإثم والضغينة, ومزاجا عاتيا ومتمرداً, وخورا في النفس, وفقداً لحس العطف العائلي, فالأطفال المنكوبون من حرمانهم من آبائهم ينزعون إلى البحث في عالم الخيال عن شيء يستعيضون به عما فقدوه في عالم الحقيقة.

ويرى المربون (أن أفضل ميراث يتركه الآباء إلى أبنائهم هو أن بضع دقائق من وقته كل يوم يخصصها لهم) ويرى بعض علماء الاجتماع والباحثون في إجرام الأحداث (أن أفضل السبل للقضاء على انحراف الأحداث هو أن تلقط الآباء الأطفال من الشوارع ليلا) وإذا قام الأب بواجبه من مراقبة أبنائه

ومصاحبتهم فأنه من دون شك يجد ابنه صورة جديدة منه فيها كل خصائصه ومميزاته وانطباعاته ، وعلى الآباء أن يتركوا مجالس اللهو ويعكفوا على مراقبة أبنائهم حتى لا يدب فيهم التسيب والانحلال.

ثالثاً:- يرى بعض المربين إن من واجبات الآباء والأمهات تجاه أطفالهم هو تطبيق ما يلي: يجب أن يتفق ألام والأب على معايير السلوك وأن يؤيد كل منها الآخر فيما يتخذاه من قرارات نحو أولادهما.

ينبغي أن يكون وجود الأطفال مع الأب بعد عودته من العمل جزءاً من نظام حياته اليومي فالأطفال الصغار يكونون بحاجة إلى الشعور بالانتماء, وهم يكسبون هذا الشعور من مساهمتهم في حياة الأسرة.

وللأسرة وظائف حيوية مسئولة عن رعايتها، والقيام بها، منها:

أنها تنتج الأطفال وتمدهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية, وليست وظيفة الأسرة مقتصرة على إنتاج الأطفال فان الاقتصار عليها يمحو الفوارق الطبيعية بين الإنسان والحيوان. إنها تعدهم للمشاركة في حياة المجتمع, والتعرف على قيمة, وعاداتهم. إنها تمدهم بالوسائل التي تهيئ لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع. والأسرة مسؤولة عن توفير الاستقرار والحماية والأمن لأطفالهم مدة طفولتهم فأنها أقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك لأنها تلقي الطفل في حال صغره ولا تستطيع مؤسسة عامة أن تسد مسد الأسرة في هذه الشؤون.

على الأسرة أن تقطع جزءاً كبيراً من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة... لقد أكد علماء النفس والتربية على أن للأسرة أكبر الأثر في تشكيل شخصية الطفل.

الأسرة في الإسلام :

لقد أقام الإسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وتتفق مع حاجات الناس واعتبر الغريزة العائلية من الغرائز الذاتية التي منحها الله للإنسان وقال ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم /21) فهذه الظاهرة التي فطر عليها الإنسان منذ بدء تكوينه من آيات الله ومن نعمة الكبرى على عباده.

إن الإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنه طيبة تتوفر بها عناصر القيادة الرشيدة قال تعالى

عن عباده الصالحين ((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)) (الفرقان/74) وأهم قاعدة من قواعد التربية أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة, والمثل الأعلى للخير والصلاح.

وعلى أي حال فأن نظام الأسرة الذي سنه الإسلام يقوم على أساس من الوعي والعمق لما تسعد به الأسرة ويؤدي إلى تماسكها وترابطها من الناحية الفسيولوجية, والنفسية, والاجتماعية, بحيث ينعم كل فرد منها, ويجد من ظلالها الرأفة والحنان والدعة والاستقرار.

إن الإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية – التي هي النواة الأولى للأسرة– على المحبة, والتفاهم والانسجام, وهي الزواج المثالي الذي ينشده الإسلام في الرابطة الجنسية أن تكون مثالية وتقوم على أساس وثيق من الحب والتفاهم حتى تؤدي العمليات التربوية الناجحة في تكوين المجتمع السليم.

تحديات تواجه الأسرة المسلمة:

التحديات كثيرة تواجه الأسرة التي تحول دون أداء دورها التربوي والأخلاقي ومنها تحديات التقنيات الحديثة كالتلفاز وما يعرضه من أفلام كرتونية تعود الطفل على العادات السيئة مثل الشجار والاعتداء على الأطفال وتدمير ممتلكات الغير، والطفل يتقمص شخصية الكرتون في إظهار القوة أو تتولد لديه صفة العناد وعدم الانصياع لتوجيهات الأب والأم، أو ما يعرض من مسلسلات وأفلام الإجرام والمغامرات التي يهتم بها المراهقون وتكون مادة دسمة ومشجعة لارتكاب المراهق بعض التجاوزات التي يمنعها القانون كالسرقة والاعتداء على الغير وإتلاف المرافق العامة والتدخين وتعاطي المخدرات ، وشبكة الانترنت التي تعرض بعض المواقع الاكترونية التي شجع على ممارسة الجنس (الفيسبوك والتويتر) ، وجهاز النقال الذي يسهل كتابة الرسائل النصية (SMS) واستخدامها في عقد علاقات محرمة بين الشباب والشابات ، ووسيلة للتواصل بين الذكر والأنثى من خلال المحادثة المحرمة.

ثالثًا: البيئة:

المقصود بالبيئة الظروف المحيطة بالطفل مثل علاقاته اجتماعية مع الآخرين وتأثره بأفكارهم ، للبيئة تأثير خاص في الإنسان، فالإنسان كما يقال ابن بيئته، فإن تربى في بيئة تعتز بالفضيلة والأخلاق الحسنة،

صار الإنسان يعتز بالفضيلة والأخلاق، وإن عاش في بيئة موبوءة بالسموم الأخلاقية والفكرية، أصبح منحرفاً فالإنسان يؤثر ويتأثر.

يقول النبي صلى الله عليه وآله سلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه" والنفس الإنسانية قابلة للخير والشر، وعندها استعداد للاستقامة أو الانحراف والبيئة هي التي تعزز ذلك وتيسره.

وقد عدّ بعض الباحثين الأسرة من عوامل البيئة الاجتماعية التي تؤثر على تنشئة الفرد سلباً أو إيجاباً ، والبيئة قد تشمل الأسرة لكن دورها الكبير في التربية جعلها من أهم العوامل المؤثرة في التربية وتأتي العوامل الأخرى بعدها، لكن يمكن أن تشمل البيئة بمفهومها الواسع رفقاء السوء وأصدقاء الحي والمدرسة ومقاهي الانترنت والأفلام الكرتونية ومسلسلات الإجرام و المغامرات وغيرها من العوامل التي تهيء الأرضية وتجذب الأولاد إلى الانحراف ، وفي المقابل الأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية ودور الشباب أو مراكز الشباب والمساجد وغيرها من المؤسسات تمثل أيضا البيئة التي يتأثر بها الشباب وتتكون فيها شخصياتهم.

إن البيئة الاجتماعية لها دور في تشكيل شخصية الإنسان وجعله يعرف ما المطلوب منه وكيفية التعامل مع الآخرين ، وما هو دوره في أسرته وفي مجتمعه، وقد أكد نبي الإسلام على دور البيئة الاجتماعية من خلال حديث :"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " ولكن بشروط منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيادة الصالحة، والتعاون على الخير و..الخ.

البيئة تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الفرد ، لذا قيل الإنسان نتاج بيئته الاجتماعية ، الإنسان كائن اجتماعي وهو سريع الاتصال بغيره وسريع التقليد ، وتوجد أسباب تجعل الإنسان يتأثر بأفراد مجتمعه:

-عامل الطبع والتقليد ـ يجب أن يقلد غيره خاصة الإنسان في مرحلتي الطفولة والمراهقة.

أنواع البيئة :

الأسرة ، المدرسة ، الحي أو الفريق ، الأندية الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الثقافية والاجتماعية ، مقاهي الانترنت ، دور السينما والمسارح ، دور العبادة والمساجد.

الجو العام:

هناك مفهوم يسمى " الجو العام " وهو عبارة عن البيئة أو المحيط الذي يساعد على انحراف الإنسان في الغالب أو استقامته أحياناً ، ويقصد بهذا الجو: ((تفاعل الإنسان مع الزمان والمكان والأشخاص وأعمالهم)).

من أمثلة تأثير الجو العام قصة السامري وتأثيره على بني إسرائيل في عبادة العجل مع وجود هارون أخي موسى وهو نبي في بني إسرائيل ، وكان السامري مريض النفس (الانحراف النفسي) " وكذلك سولت لي نفسي " (طه /96) أي أنه استمد نفوذه وقوته من قوى الشر المحيطة بالإنسان وهي لها دور في تشكيل جو الانحراف ، لكن مجيء موسى وغضبه بعد ارتداد قومه أبطل تأثير هذا الجو الانحرافي

المدرسة:

ينصب اهتمام المدارس اليوم على العلم والتعليم أكثر من التربية والتهذيب ، على الرغم من وجود مقرر التربية الإسلامية وموضوعات أخلاقية في بعض المقررات الدراسية الأخرى التي تحث التلاميذ والطلاب على الأخلاق الفاضلة ، ولكن تطرح بشكل أكاديمي أيضاً ، أي أن دروس التربية والأخلاق شأنها شأن دروس الكيمياء والفيزياء تعطى للطالب للاختبار فقط ، ولا يشعر الطالب بأثرها على سلوكه ونفسه وحياته.

المدرسة هي البيت الثاني والمحضن الآمن المهم بعد الأسرة ، فإذا تراخت أو تراجعت عن أداء دورها ورسالتها زاد الفساد الأخلاق بين الشباب وإذا افتقد الطالب لدور الموجه الحقيقي والمرشد الناصح ولم يشعر ذاك أن معلمه أب وأخ ناصح لهّ ، فأن ساحة المدرسة تتحول من ساحة للبناء والتربية إلى ساحة للانحراف والضياع.

وقد يرتكب بعض الطلاب المنكرات أو المحرمات في المدرسة نتيجة تأثره بزميله في الصف أو في المدرسة ، فكم من طالب تعاطى المسكرات والمخدرات وكم من طالب استخدم التدخين نتيجة لهذا التأثر. ويعاني كثير من المعلمين من مشكلات ميدانية التي تواجههم في ساحات المدارس، وهذه المشكلات كثيرة وقد تتداخل بعضها ببعض سواء المتعلقة بالطالب وسلوكياته أو المنهج الدراسي ، حتى شعر كثير من المعلمين الذين يعانون من المشكلات السلوكية غير السوية عند طلابهم ، أن المدرسة فقدت دورها في

التربية وأنها بحاجة إلى تقييم هذا الدور لمعرفة السلبيات والمعوقات خاصة بعد تزايد المشكلات الطلابية ، وأنه آن للمعلم أن يجري الدراسات الميدانية لحصر هذه المشكلات وإيجاد الحلول لها ، وأن على المعنيين بشئون التعليم والتربية في البلدان العربية والمسلمة دعم جهود المعلمين والباحثين بهذا الخصوص .
كان التعليم المختلط شكل من أشكال التربية الذي انتقل إلى بعض المدارس الخاصة في بلدان المسلمين بعنوان تطور التعليم ، لكن أظهرت الدراسات التربوية على أن هذا التعليم ساعد على الإباحية والميوعة وممارسة الجنس وانهيار قواعد الأخلاق وغيرها في المدارس.
في السابق كان المعلم قدوة وأسوة لطلبته وكان له تأثير كبير قد يفوق تأثير الوالدين في مجال التربية والإرشاد ، لكن دور المعلم بدأ يتقلص في الآونة الأخيرة نتيجة لعدم إيمان المعلم بدوره التربوي ، ونتيجة لضعف الوازع الديني والأخلاقي والمهني لديه ، وتزعزع مكانة المعلم في أعين الناس وعدم وجود معايير لاختيار المعلم القدوة.

فالدور المنوط للمدرسة القيام به يتمثل :
- الانتفاع بالمواهب الفطرية واستخراج الطاقات الكامنة في نفوس الطلاب.
- تربية الغرائز وتهذيبها.
- العناية بالحواس وتنمية ملكة التعلم الذاتي لدى الطلاب.
- التدريب على اكتساب الأخلاق والعادات الحسنة.

مصادر التربية الإسلامية

في الحقيقة ليس هناك ثمة فرق شاسع بين مصادر المعرفة ومصادر التربية من منظور إسلامي، باعتبار أنّ التربية جزء أصيل في النظام المعرفي الإسلامي. وقد تطور رؤية المفكرين والفقهاء والفلاسفة لمصادر المعرفة عبر العصور والأقطار، حيث كان قديمًا مصادر المعرفة مكونة من أربعة عناصر رئيسة:

1- الخبر الصادق، أي الوحي، والمراد به جميع ما ورد في الكتب السماوية والآثار الموروثة عن الأنبياء والرسل، شريطة إثباتها وصحتها.
2- العقل، وقد جعل البعض مصدرًا مستقلًا، وقد أدرج مع التجربة باعتبارها نتاجه.
3- الحس، والمراد به جميع ما يتوصل إليه الإنسانية عن طريق المحسوسات المادية والمعنوية.
4- التجربة، وهي عبارة عن الخبرة المتراكمة للإنسانية منذ خلق آدم إلى العصر الراهن.

وعليه، فما وصل إلينا عن طريق الخبر الصادق، والحس، والتجربة الإنسانية، تعتبر معارفًا، كما يمكن التوصل إلى المعارف والخبرات الجديدة عن طريق العناصر الثلاثة في هذا العصر أيضًا.

وقد زاد البعض مصدران آخران على هذه المصادر، وهما: الحضارة والمستقبل.

وفي نظر المعهد العالمي للفكر الإسلامي مصادر المعرفة: الوحي والعالم فقط، وسموه الجمع بين القراءتين: (القرآن المقروء والكون المنظور). أمّا (العقل والحس) فهما أداتان للتعامل مع المصدرين.

الإصلاح التعليمي المعاصر

فقد ظهر الإسلام منوطًا بأشكال من الاعتداءات النفسية والسياسية والاقتصادية على الرسول- ﷺ- وأصحابه، ثم على الأمة عمومًا منذ بدايتها إلى عصرنا الحاضر، ولكن عناية الله كانت دائمًا تخرجها من كل هذه الحروب والمعارك أقوى عودًا وأشد إيمانًا، حتى أصبحت الدولة الأولى والأمة الوسط التي خير أمة أخرجت للناس. وبعد أن تبين للأعداء أن نقطة انطلاق ونصرة وظهور هذه الأمة، هي دينها، وعقيدتها، أجمعوا أمرهم على إضعافها، وتغيير فهمها له، لتتحول علاقة شكلية جامدة، لا ثمر لها، ولا أثر في حياة، وأرواح شبابها.

فمن هنا بدأت الغزو الفكري التي أدت إلى الانحرافات الفكرية، والعقدية، وأدت إلى التفرق، والتمزق، وتحول إلى فرق ونحل، وآراء وأهواء خاصة بعد مجيء عصر النهضة الأوروبية، فهنا أخذ الغزو شكلًا آخر وبعدًا أعمق، فقد أصبح أكثر تنظيمًا، وأشد فعالية، وأوسع مساحة، حتى استطاع هذا الغزو الشامل أن يأخذ مواقعه في عقول الكثيرين من أبناء هذه الأمة، وفي قلوبهم وأفهامهم.

ولما بلغت النهضة الأوروبية قمتها، وهبطت الأمة الإسلامية، فقر المعتدون الهجوم على البلاد الإسلامية، فاحتلوا أجزاء كبيرة منها، بعد انتصارهم في الحرب العالمية الأولى، وأول فعل قاموا به، هو العمل من أجل التبديل الثقافي للوصول بمعركتهم مع الإسلام إلى الصفحة الأخيرة، والغاية المنشودة التي من أجلها قاموا بتغيير معظم أنضمة التعليم، وسخّروا الإعلام، والتوجيه الفكري، والتربيوي، و وظفوها لإحداث تلك العملية، ولكن خاب فألوهم، فإن محاولات الأمة للتخلص من الاستعمار، وإصلاح شأنها لم تنقطع، فقامت الحركات الإصلاحية والتحريرية في كل بلاد الإسلامية، رغم أن هذه الحركاة في غالب الأمر قد نهجوا منهج الغرب، وتصوراتها، لغاية الإصلاح، ولذالك كان من الطبيعي أن يكون نصيب تلك الحركات هو الفشل والإخفاق، لأن ما يصلح للغرب لا يصلح للأمة الإسلامية الحنيفة،

ولكن بفضل من الله ونعمة، وتحقيقًا لوعده، لقد تنادت فتية من الشباب المؤمن لفقه قضية الأمة، وبذل كل الجهود لمعالجة أزمتها، وكان معظمهم في أوروبا وأمريكا، بعد دراسات عديدة وصلوا إلى أن الأزمة الكبرى هي الأزمة الفكرية، التي أصابها الجمود والتوقف، وإن سائر الأزمات الأخرى التي تعاني منها الأمة اليوم إنما هي وجوه أخرى وانعكاسات لتلك الأزمة.

فمن أجل الوصول إلى العلاج الحقيقي لإصلاح القضية الفكرية التي تعاني منها الأمة، أسس هؤلاء الشباب جمعية العلماء الاجتماعيين المسلمين ضمن إطار منظمات اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الإمريكية، واتصلوا بعديد من الدعاة ورجال الدعوة والفكر للتبادل الآراء، والأخذ باستفساراتهم، فعقدت لذلك الغرض عدة اجتماعات وندوات حتى في سنة 1976 قرروا أن تعقد ندوة موسعة في أوروبا، وقد حضر في تلك الندوة بجانب هؤلاء الشباب ثلاثون عالما من مختلف التخصصات، ومن كبار العاملين في العمل الإسلامي، ومن نتيجتها انعقد مؤتمران للبحث عن إشكاليات التعليم في العالم الإسلامي، أولهما انعقد المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي في مكة المكرمة عام 1977، وشارك فيه ممثلوا أربعين دولة، و313 عضوًا، ومن ثمّ تأسست المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1981م، وعقد المعهد أول مؤتمر عالمي يعالج قضية إسلامية المعرفة عام 1982م في باكستان، وغايات المؤتمر تنحصر في نقطتين رئيستين:

الأولى البحث في قضايا الفكر والمعرفة.

الثاني التعمق في النظر والبحث في قضية أزمة الأمة، وإيجاد الحلول لها.

وفي أعقاب ذلك المؤتمر رأى المعهد أن يقوم بنشر خطة تفصيلية تمثل دليل العمل في ميدان إسلامية المعرفة وخدمة الفكر والمفكر وطالب العلم المسلم.

أولًا: القضية

1- علة الأمة

تقف الامة الإسلامية اليوم في أدنى مرتبة قياسًا إلى غيرها من الأمم، فلم تتعرض أية أمة من الأمم إلى هزائم كتلك التي تعرضت لها الأمة الإسلامية. ولقد تعرضوا لكل أنواع الخداع والاستعمار والاستغلال، فأصبح المسلمون بعد أن كانوا سادة الدنيا ضحايا الظلم والقهر والعدوان، حتى أصبحت صورتهم اليوم أسوء صورة يمكن أن تصور بها الأمة، ولا يعرف العالم الإسلامي اليوم بين الأمم إلا بأنه عالم الصراع والشقاق.

2- المظاهر الرئيسة للعلة:

أ- **على الصعيد السياسي**: الأمة منقسمة على نفسها، وذلك بسبب نجاح القوى الإستعمارية في تمزيقها إلى أكثر من خمسين دولة قومية، وسلمت مقاليد الحكم إلى فئة مختارة من أهل البلاد تم اختيارهم مسبقًا وفق الأنماط الغربية في الفكر والثقافة والحياة.

ب- **على الصعيد الاقتصادي**: حيث يشكل الأميون الغالبية العظمى من أبنائها، وانتاجهم من المواد والخدمات أقل بكثير من احتياجاتهم التي تعوض بطريق استيراد البضائع والسلع الجاهزة من الدول الاستعمارية، فلا توجد دولة اسلامية واحدة مكتفية ذاتيًا في سائر ما تحتاج إليه، بل إن كل واحدة منها مهددة بالمجاعة إذا اختارت القوى الاستعمارية لأي سبب أن توقف تجارتها غير العادلة معها.

ج- **على الصعيد الثقافي**: أدى انتشار الجهل والخرافات والأمية بين المسلمين إلى دفع المسلمين العادي إلى النكوص والركون إلى الإيمان الشكلي والتقليد الأعمى، والاستسلام لدعاة الخرافة، والعجز عن المقاومة التحديات والتأثيرات الخارجية.

3- جذور الأزمة في في اعتلال الفكر والمنهجية:

ان أساس علة هذه الأمة هو في اعتلال فكر الأمة، وفي منهجيتها وما يترتب على ذلك من اعتلال نظام التعليم الذي يجري على أسس غربية.

أ-**الحالة الراهنة للتعليم في العالم الإسلامي**: رغم التوسع الهائل الذي حدث حتى الآن نجد أن التعليم الإسلامي في الوقت الحاضر في أسوء حالاته، فالعلمانية أجرأ من أي وقت مضى في الدعوة إلى آرائها وأفكارها اللاإسلامية حتى في المدارس والكليات والجامعات، كما أنها استطاعت اليوم أكثر من أي وقت اجتذاب الآذان الصاغية للأغلبية العظمى من الشباب المسلم، ففي كل مكان يجري سباق جنوني نحو اتباع النمط الغربي في التعليم.

ب-**الافتقار إلى الرؤية الصحيحة**: الزعامة التربوية في العالم الاسلامي فقد اتسمت بالروح المادية، وافتقرت إلى الثقافة اللازمة والهدف الواضح، والمواد والمناهج التي تدرس في العالم الاسلامي هي نسخ عن المواد والمناهج الغربية الخالية من الرؤية الواضحة التي حركتها في الغرب. والكارثة الكبرى التي تواجه التعليم الاسلامي هي افتقار أساتذة الجامعات في العالم الاسلامي إلى الرؤية الاسلامية، حيث إنهم لا يحركون بتأثير دوافع هذه الرؤية العقيدية الاسلامية.

ثانيًا: المهمة

إن أصعب مهمة تواجه الأمة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري في سبيل حل أزمة الفكر والمعرفة الإسلامية هي إيجادحل لمشكلة التعليم، إذ لا يمكن أن يكون هنالك أي أمل في احياء حقيقي للأمة ما لم يصحح نظامها التعليمي وتقوّم أخطاؤه، بل إن ما نحتاج إليه هو إعادة تشكيل هذا النظام من جديد. ويأتي هذا من خلال الخطوات التالية:

1- **دمج نظام التعليم**: يجب أن يدمج نظام التعليم الديني مع النظام التعليم العام لإيجاد نظام تعليمي موحد تهيمن عليه العقيدة الاسلامية، بحيث يعطى النظام الموحد مزايا كلا النظامين

من الأموال والالتزام بالرؤية الاسلامية، وكذلك يجب أن يوفر هذا الاندماج الفرصة المناسبة لإزالة نواقص كل من النظامين.

2- **غرس الرؤية الاسلامية:** خاصة للشباب الدارسين في الابتدائي والثانوي، فلكل واحد منهم الحق في أن يتلقى تعليمًا كاملًا في الدين الاسلامي وقيمه وغاياته وأخلاقياته وتشريعاته وتاريخه وحضارته. وهذا يأتي من خلال:

أ–فرض دراسة الحضارة الاسلامية: إن من أهم جوانب العلاج الممكن لظاهرة نزع الروح والجذور الاسلامية في المرحلة الجامعية هو التدريس الاجباري للحضارة الاسلامية لسائر سنوات المرحلة. فإذا أراد المرء أن يكون عصريًا فيجب أن يكون واعيًا بطبيعة تراثه الحضاري كي ينجو من الغزو الفكري وتأثيراته، وذلك لا يكون إلا عن طريق دراسة "الحضارة الاسلامية" في المرحلة الجامعية لكافة الاختصاصات، ويجب أن يقدم الحضارة الاسلامية بوصفها الخيار العلمي الوحيد للتعامل مع المشاكل الأساسية للمسلمين وغيرهم في العالم المعاصر.

ب–إسلامية المعرفة الحديثة والتكامل المعرفي: إنها لخطوة عظيمة إلى الأمام إذا قامت الجامعات والمعاهد الاسلامية بإعطاء دروس اجبارية في الحظارة الاسلامية لكل الدارسين، باعتبارها جزء من مناهجا الدراسية الأساسية، فمن المؤكد ان مثل هذه الخطوة الإيجابية ستمنح هؤلاء الطلبة ايمانًا أعمق بدينهم وتراثهم وتعطيهم الثقة بأنفسهم وتمكنهم من مواجهة مصاعبهم الحالية والتغلب عليها، والاندفاع إلى الامام لتحقيق الهدف الذي اختاره الله لهم، ولا بد أن يدمج هذه المعرفة في البنية الأساسية للتراث الاسلامي، بعد عملية غربلة دقيقة يتم فيها حذف بعض عناصرها وتصحيح وتعديل وإعادة تفسير البقية منها بما ينسجم ويتماشى مع نظرة الاسلام العالمية وكل ما يمليه الاسلام من قيم ومفاهيم. كما يجب تحديد علاقة الاسلام بكل وضوح بفلسفة هذه الفروع من طرقها وأهدافها.

ثالثًا:المنهجية التقليدية

1–قصور المنهجية التقليدية: من النتائج الدمار الذي ألحقه الصليبين والتتار بالأمة الإسلامية عن طريق الحروب هو الانقسام وتعدد الدول الإسلامية. خوفًا من التلاعب بالنصوص والإفتاء بغير العلم والإتباع لغير المؤهلين من علماء وفقهاء السلاطين قام العلماء بغلق باب الاجتهاد وتمسكوا بتقليد علماء القدامى الذين شهد لهم الأمة بالقبول، للاحتفاظ بالهوية الإسلامية ودين المسلمين. لذا نادوا بالالتزام التام بالنصوص الشرعية وأقوال الفقهاء القدامى كما هي، ورد كل رأي واجتهاد جديد، فبذلك فقد المسلمون المصدر الرئيسي للإبداع في فقه الشريعة الإسلامية ونصصوصه. فبما أنهم توهموا ان الفقه أصبحت كاملة في القرون الماضي فلا داعي للاجتهاد، فاعتبروا كل رأي جديد بدعة وكل بدعة ضلالة، فأصبح الفقه جامدًا وعقيمًا.

واستغلت الغرب ضعف المسلمين وأسهمت اسهامًا أساسيًا في علة الأمة الحالية، لذا حاول القادة في بعض دول المسلمين كتركيا ومصر والهند أن يتوجهوا نحو الغرب لكي تنمو سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، ولكن فشلت وأدى إلى صراع كبير بين نظامي الشرقي الغسلامي والغربي العلماني اللاديني، وعلى الرغم الإمتيازات المادية والمعنوية التي تمتاز بها النظام الغربي إلا أنها فشلت في تحقيق التفوق والتقدم بل أدى إلى مزيد من الإضعاف والتخلف.

2– الفقه والفقهاء: الفقه هو معرفة الاحكام الشرعية العملية المكتبسة من أدلتها التفصيلية، والفقيه هو المجتهد، إن معنى الفقه بمعناه الإصطلاحي محددة وضيقة عندما نقارنه بالمعنى الذي جاء في القران الكريم لمادة (ف.ق.ه) التي تدل على معنى التفكير والفهم وادراك الجوهر والتفسير، بحيث يمكن أن يجمع معانية في (الفقه هو المعرفة التامة والشاملة للإسلام)، وهكذا فهمه أئمة المجتهدين على أنه يعني أدلة

الأحكام الشرعية والمباديء الأساسية للفهم الإسلامي للواقع والحياة ومنها المباديء العامة لأحكام الفقه الإسلامي.

لقد كان هؤلاء الفقهاء يتحلون بفطرة سليمة وبأهم مؤهل للنظر الإسلامي التي هي حسن التذوق الشرعي وإدراك الغايات والمقاصد التشريعية أما خريجي الكليات والجامعات الإسلامية لا تؤهلهم مناهجهم بما يكفي من المعرفة والطاقة العلمية التي كان يحصل عليها الفقهاء الأوائل، وقد قامت محاولات للإصلاح الذاتي داخل النظام التقليدي التي قام بها كثير من الفقهاء منهم ابن تيمية وابن القيم ومُحَمَّد بن عبدالوهاب ومُحَمَّد عبده واستاذه جمال الدين الأفغاني وغيرهم، مع أن المسلمين المتيقظين في كل مكان أيدوا دعوة مُحَمَّد عبده والأفغاني إلا أن هذه الدعوة فشلت لسببين:

أولًا: لأن المؤهلات التقليدية التي يجب توفرها في المجتهدين بقيت على حالها.

ثانيًا: المجتهد هو الذي يترجم المشاكل والقضايا الاجتماعية المعاصرة إل مسائل تندرج تحت أبواب الفقه الشرعي وأحكامه وفق مذهب تقليدي أو آخر، ولم توجد هذه النظرة الشاملة للمجتهد بمفهوم التقليدي في هذا العصر، لذا لم يستطع كثير من الفقهاء التقليديين ادراك دلالاتها وأبعادها في إعادة النظر والفهم الجذري في أصول مصادر الشريعة والمعرفة السلامية.

3- **توهم التعارض بين الوحي والعقل**: فصل الوحي عن العقل هو أخطر تطور ثقافي في تاريخ الامة الإسلامية، وقد حدث هذا بإدخال وجلب قواعد فلسفة الإغريق والرومان لتفسير أصول الإعتقاد الإسلامي بعد جيل الفريد الأول من أجل إقناع غير المسلمين بحقائق الإسلام، التي أدت إلى معركة الخوض والصراعات الفكرية والعقدية في صفوف المسلمين كما وقعت في صفوف النصارى من قبل، بل هم الذين نقلوا هذا الصراع في دينهم إلى دين الإسلام الذي من نتيجته حصل الانفصال والافتراق بين الوحي والعقل.

إن دعوة الإسلام دعوة تلقتها العقول بالقبول، دعت الناس الى استخدام عقولهم واخضاع كافة الدعوات إلى ملكاتهم النقدية، وأن يسعوا دائمًا إلى الانسجام مع الواقع والبعد عن الظن والحدس والتخمين، وبلغ منزلة العقل في الدين ما بلغ بحيث لا يمكن بدونه ادراك حقائق الوحي كما لايمكن قبولها والإعتراف بها.

4- **فصل الفكر عن العمل:** في بداية الإسلام كان القائد مفكرًا، والمفكر قائدًا، وكانت الرؤية الإسلامية هي السادة، بحيث هذه الرؤية شاغل المسلمين جميعًا ومسعى كل واحد منهم لفهم الحقيقة والواقع، كما أن في تلك الفترة الفقيه هو إمامًا ومجتهدًا و....الخ.

بحيث أكثر أفراد المجتمع لهم خبرة كافية للقيام بأكثر المهمات عند الضرورة والحاجة وذلك لأن أهم شيء عندهم هي قضية الإسلام وإرضاء الله سبحانه، كما كان كل فرد يستمد قوته من قوة الآخرين. إلا أن هذه الوحدة بين الفكر والعمل لم تستمر واختلفت فيما بعد، وبدأ تدهور كل من الفكر والعمل حينما وقعت الاختلاف في الأم، وكانت النتيجة عزل الحكماء والعلماء معن الواقع وعزل القيادة عن منابع طاقات الفكر والحكمة من ناحية اخرى.

5- **الازدواجية الثقافية والدينية:** خلال عصر التخلف بسبب فصام الفكر عن العقل انقسم الصراط المستقيم الذي يشمل كافة أهداف الانسان ونشاطاته، إلى فرعين: سبيل الدنيا، وسبيل الله والفضيلة. بحيث يتعارض كل منهما مع الآخر حتى أدى ذلك إلى أن يفسد كل منهما الآخر ويقضي على دوره ومعناه، وانتهى الأمر إلى أن يصبح أحدهما جديرًا بالإطراء ويشمل القيم الدينية، والآخر مشجوبًا ويشمل الحياة الماديةبكل قيمها، فأصبح الأول روحانية خاوية وفارغة، والثاني نظام لا أبالي محض لا يتبع الواجبات الأخلاقية المعتبرة في الإسلام، حتى أصبحت الدنيا كمجرد جائزة لكل متنافس يفوز به. وهكذا أصبحت الحكومة و مؤسسات الدولة والقيادة مجرد ادوات لتعظيم الذات والممارسات الوحشية والإبتزاز بالمنافع المعنوية والمادية من الناس.

رابعًا: المباديء الأساسية للمنهجية الإسلامية

الخلافات العقدية المنبثقة من علم الكلام أدى إلى الانحراف والمسخ والغبش في الفكر والمنهجية الاسلامية وإلى زلزلة مفهوم علاقة الأسباب والمسببات والأعمال والنتائج وضعف النظر في آفاق الفطرة الاجتماعية والفردية سوء الفهم في توجيه الغاية والسلوك الإنساني وسلبية علاقة الوحي بالعقل. والمطلوب الآن هو القيام بعملية اسلامية المعرفة وإعادة تشكيل العلوم الحديثة ضمن هذا الإطار الإسلامي ومبادئه وغاياته حتى تستعيد الرؤية الإسلامية والمنهجية الإسلامية والتربية الإسلامية والشخصية الإسلامية ويستعيد الوجود الإسلامي الفردي والجماعي جديته وفاعليته في الحياة والوجود. من أجل ذلك لا بد أن نفهم المباديء الأساسية التالية:

1- التوحيد:

إن الله هو الحق وهو مبدأ كل شيء، وهو غاية كل شيء، فوجود الله وإرادته وأفعاله هي الأسس الأولى التي عليها يقوم بناء كل الكائنات، وكل المعارف وكل أنظمتها.

2- وحدة الخلق:

أ- النظام الكوني: بدون هذا النظام الكوني لن تكون الأشياء ولا الأسباب والنتائج هي ما يعرف البشر أو يتصورون من أشياء وأسباب ونتائج. وهذا النظام يتكون من قوانين الطبيعة التي هي سنن الله في خلقه.

ب- الخليقة: صنع الله وابداعه {خلق كل شيء فقدهره تقديرا} هذا التقدير هو الذي يعطي كل شيء طبيعته وعلاقاته بالأشياء الأخرى ومنهجه في الوجود، كذلك فإن التقدير الإلهي يخضع كل شيء لنظام من الأسباب ولنظام من الغايات.

ت- تسخير الخليقة للإنسان: سخر الله كل شيء للإنسان بمعنى أنه تحت تصرفه بحيث يستخدمه لغذائه وحاجاته ومتهته وراحته.

3- **المعرفة و وحدة الحقيقة:** الحقيقة المطلقة هي الوحي ، أما المعرفة فإنه قائم على وحدة الحقيقة المستمدة من وحدانية الله المطلقة، فما دام الله واحد فلا يمكن أت تتعدد الحقيقة. وهذا التطابق قائم على ثلاثة مباديء عليها تتركز المعرفة الإسلامية:(عدو وجود التعارض

بين الحقائق الواقعية والوحي، عدم وجود تعارض أو تفاوت أو خلاف مطلق بين الوحي والعقل، عدم إغلاق باب النظر والبحث في طبيعة الخلق لأن سنن الله في خلقه غير محصورة).

4- وحدة الحياة:

أ- الأمانة الالهية: الإسلام يؤكد أن لوجود الإنسان سببًا وأن هذا السبب هو عبادة الله والإصلاح في الأرض وفقًا لإرادة الله المكونة من ضربين: (القدر، والقضاء).

ب- الخلافة: إن حمل الإنسان للأمانة الالهية يجعله في مقام الخلافة أو النيابة عن الله. وبالتالي فإن محور الخلافة هو الاعمار وهو تحقيق السلام والأمن على الحياة والممتلكات وتنظيم البشرية في مجتمعات منظمة قادرة على انتاج جميع حاجات الإنسان. ويتمثل الخلافة في مشاركة الإنسان في جميع مجالات الحياة بما فيه السياسية والاقتصادية حتى يعتبر هذه المشاركة جزءًا مهمًا غير منفصل عن العقيدة الإسلامية.

ت- الشمولية: ان منهج الإسلام في الاعمار والاصلاح وبناء الثقافة والحضارة منهج شامل، وهذا الشمول هو من الخصائص الأساسية للشريعة.

5- وحدة الإنسان:

ما دامت الوحدانية صفة الله، فلابد أن تحكم صفة التوحيد الالهي علاقة الله بكل البشر لأنهم جميعًا خلقه، ولا فرق إلا بالتقوى والعمل الصالح. صحيح أن أجناس الشر مختلفون في اللون والبنية والشخصية واللغة والثقافة ولكن وحدانية القيمة الوجودية يشمل الجميع بدون تفاوت واختلاف. فالإسلام يرفض العنصرية لما فيه من التعصب والسلبيات ويدعم ايجابية الأسرة وصلة القرابة والتعارف كأساس لبناء مجتمع سليم.

6- تكامل الوحي والعقل:

الوحي والعقل شيئان ضروريان ومتكاملان لتحقيق الحياة الانسانية الصحيحة في هذه الأرض، لذلك فلا مجال ولا معنى لتناقض الوحي والعقل أو التعارض بينهما.

7- الشمولية في المنهج والوسائل:

فإذا كان الإسلام دينًا شاملًا لتوجيه الحياة الإنسانية عبادة وسعيًا وتنظيمًا وقضاءً وتربيةً فوسائل الفكر والمنهجية الإسلامية وسائل شاملة لكل الوسائل والامكانات البشرية التي تحقق غاياتها.

الجمع بين القراءتين

قراءة الوحي وقراءة الكون

وكما هو واضح من العنوان، طه جابر العلواني هو صاحب هذه الفكرة بهذا الشكل، حيث ينبه إلى قضية مهمة قديمة جديدة، وهي قضية قراءة الوحي المتمثلة بالكتاب والسنة الصحيحة، دون الإكتفاء بها، فلن تكون الرؤية مكتملة، ولا الاستخلاف الذي أُمر به الإنسان يسير في طريقه الصحيح إن لم نجمع إليها (قراءة الكون) الذي ومن خلال استقراءنا لنصوص الشرع نرى تأكيداً على ضرورته للوصول إلى حقيقة الاستخلاف وعمارة الأرض والوصول إلى غاية الخلق وهي عبادة الله حق عبادته، ولا نقصد بالعبادة هنا العبادة الشعائرية المحضة، وإن كان لا بد منها، ولكن كل خطوة يخطوها الإنسان إنما هي عبادة إن كانت الغاية هي مرضاة الله تعالى.

الأمر بالقراءتين: قال تعالى في أول سورة نزلت في الكتاب الكريم: **((اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم))** [العلق:1-5]، وليس هناك تكرار وترادف في الآية الكريمة في كلمة اقرأ، والثانية ليست توكيداً

لأختها كما ذهب بعض المفسرين، بل لها معنى آخر، يستدل على ذلك من السياق والسباق. يعزز هذا المذهب ويؤكده اقتران الأمر الأول بـ((باسم ربك))، فهي أمر بتحصيل فعل القراءة بالاستعانة بالله تعالى، الذي يعلم من قبل أنك يا مُحَمَّد ((ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)) [العنكبوت: 48]، فكيف يأمرك بأمر يعلم يقيناً على أنك لا تقدر عليه! إذن فهو أمر لك ولأمتك بتحصيل تلك القراءة، وخالق كل شيء قادر على أن يخلق فيك فعل القراءة ولن تكون وحدك في هذا الأمر. وقوله تعالى: ((خلق الإنسان من علق)) تنبيه على ضرورة قراءة الخلق، والذات الإنسانية والنفس للوصول إلى حقيقة الخلق. كما أن توحيد الربوبية بُدء به هنا دون توحيد الألوهية، يدل ذلك على خطوة منهجية وهي الابتداء بالمحسوس، لأن الإنسان مجبول على إدراك المحسوس بإحدى الحواس الخمس، أما توحيد الألوهية فهو المجرد مما يتوصل إليه بصحيح النظر في المحسوس، فالمحسوس يكون وسيلة لإدراك المجرد، ولا بد للوسيلة أن تسبق الغاية هنا.

إن قراءة الكون والنفس الإنسانية والاطلاع على ما سطرته البشرية طوال تاريخها من التجارب والاكتشافات والإبداع هي دعوة للاستفادة من تلك التجارب، فلا يمكن البتة أن يبدأ مجتمع من الصفر والعزوف عن إكمال ما بدأه غيره، وبالاطلاع على ما حصل في عصور خلت كما ذكرها القرآن وكذلك كتب التاريخ، فالمسلم بمعرفته لما حصل وربطه بسياقه والمجتمع الذي وقع فيه ذلك يعلم بالضرورة أن قيامه بتلك الأفعال تقوده إلى النتيجة ذاتها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. إن الخروج من سجن الأمية وإسارها يستوجب قراءة الكتابين معاً، المسطور والمنظور وإلا كانت نظرتنا للحياة نظرة معوجة غير منضبطة تنظر للكون والحياة بعين واحدة.

❖ **كيفية الجمع بين القراءتين:** للجمع بين القراءتين لا بد من معرفة ما هو الضابط المنهجي لآيات القرآن الكريم والذي جعل القرآن كما نراه بوحدته البنائية ونظمه المعجز، ثم بيان علاقته بالسنن والقوانين في الكون، وبقدر اطلاعنا على القرآن أكثر وعلى الكون أكثر كلما بدت الصورة أوضح واستطعنا ايجاد

العلاقة بين الاثنين ومن ثم الجمع بين القراءتين، واكتشاف التداخل المنهجي بين الوحي والكون، ولا ينبغي الاكتفاء بذلك نظرياً دون أن تكون هناك آلية لتطبيقها على الواقع، وإلا فستكون مجرد نظرية لا نستطيع إقناع المخالف بها. **فالتصور الإسلامي للمسألة هي أن الوحي فيه القواعد التي جاء بها المرسلون للتعامل مع الكون، والكون مظهر إرادة الله ومشيئته، والإنسان مستخلف لإعمار ذلك الكون بواسطة الوحي واهتداء به،** وبذلك تتبين علاقة الغيب بكل من الإنسان والكون.

والذي نحن بحاجة إليه ويستطيع القيام بهذه المهمة (الجمع بين القراءتين) هو من كانت لو معرفة جيدة ومتينة بالقرآن، وكذلك قدراً كافياً من العلوم والمعارف يكفيه لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والكون والإنسان.

- **دعائم المنهج القرآني:**

1. **إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية:** القائمة على أركان العقيدة المذكورة في القرآن الكريم ومقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم المنبثق منه، ليتكون ما يمكن أن نطلق عليه (النظام المعرفي الإسلامي) مستهدفاً الإجابة على ما يسميه الفلاسفة المتقدمون (العقدة الكبرى)، وهي الأسئلة الكلية النهائية، وكذلك إعطاء القدرة الذاتية على النقد المعرفي، بالإضافة إلى إعطاء القدرة على توليد المعرفة والمنهج الذي يتحقق الإبداع به.

2. **إعادة فحص وتشكيل وبناء المناهج الإسلامية:** إن المنهجية الإسلامية قد أصيبت بالعوار نتيجة القراءة التجزيئية، وكذلك قراءة الكون والإنسان بعيداً عن القرآن، فلكي يتمكن الإنسان من تجاوز هذه القراءة القاصرة عليه إعادة فحص تلك المناهج بعرضها على **المنهجية المعرفية القرآنية.**

3. **بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد:** فالقرآن منشأ للمنهج والعقيدة والشريعة والمعرفة، فلا بد من وضع منهج يمكِّننا من التعامل مع النص القرآني، ولذا فعلينا إعادة بناء وتنظيم بعض النظريات في علوم

القرآن التي قد تؤثر على مسألة الجمع بين القراءتين، وتجاوز بعض تلك النظريات، فهي نظريات قد أدت دورها في فترة تاريخية وقد تم الاستفادة منها في خدمة القرآن الكريم في وقته، ولكن الآن وفي المرحلة الراهنة، إذ تسيطر (عقلية الإدراك الإنساني المنهجي) للأمور، ومحاولة العالم البحث عن العلاقات الناظمة لها بطرق تحليلية ونقدية، فعلينا لذلك أن نعيد النظر في تجديد العلوم التي تتخذ وسائل لفهم النص وخدمته وقراءته قراءة تجمعه بالكون، وتنقية كثير من جوانب التفسير والتأويل والتراث في تلك الحقب أو المراحل من التاريخ الإسلامي، وإزالة الإسرائيليات منها لتخليص القرآن من النسبي. ولكي تظهر وجوه التحدي للقرآن الكريم وجوانب إعجازه فلا بد من ملاحظة البعد الاجتماعي فيه، ويبرز إعجازه الذي يعد دليلاً منهجياً على إطلاقيته، وهو بذلك يتجاوز (الإعجاز العلمي) فهو لا يعدو أن يكون إسقاطاً لثقافة العصر على القرآن.

4. بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة: إن المرحلة النبوية وعصر الصحابة كونهم مرتبطين بالنبي ﷺ وبالوحي، وباعتبار أن السنة النبوية الصحيحة هي مصدر مبينٌ للقرآن ومطبقاً له، فإن ذلك يعطينا نموذجاً حياً لمسألة تطبيق القرآن وتنزيله على الواقع، فملاحظة التحرك العملي والتطبيقي للرسول ﷺ يرينا بوضوح الربط بين النص والحياة، وتضييق الفجوة بين النص القرآني وبين الواقع المتمثل بالمستوى الثقافي لأهله وعقلياتهم وقدراتهم الفكرية. وحرص الصحابة ﷺ على أن لا تفوتهم أي جزئية تتعلق برسول الله ﷺ كونه السبيل الوحيد للإحاطة بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة في عصرهم، واستخلاص منهج التطبيق منها لمن يأتي بعدهم. فمن الصعب أن نفهم الكثير من القضايا بعيداً عن تجسيد الرسول ﷺ بين القرآن والواقع. و"**لقد ارتبط المسلمون في مرحلة نزول القرآن بمفهوم التأسي والاهتداء والاتباع والاقتداء ولم يؤمروا بالتقليد أبداً**"، لذا حريٌّ بنا أن نأخذ بالمنهج بعيداً عن المطالبة بالتقليد لكل شيء كان على عهده ﷺ، فذلك مما يستحيل تطبيقه وهو في الأساس ليس المراد

من الشرع. ((أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده))، أي بالتأسي بمنهجهم في الطاعة والدعوة والتبليغ والبيان والتطبيق، وليس بتقليدهم.

5. إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي: أساليب التعامل الحالية مع التراث ثلاثٌ: **دائرة الرفض المطلق، ودائرة القبول المطلق، ودائرة الانتقاء اللامنهجي.** لذلك فمن الضروري قراءة التراث الإسلامي قراءة نقدية تحليلية، ومعرفة ما إذا كان متوافقاً مع منهج التصديق والهيمنة القرآنيين للخروج من تلكم الأساليب اللامعقولة.

6. بناء منهج للتعامل مع التراث الإنساني المعاصر: وذلك ليخرج العقل المسلم من أساليب التعامل مع فكر الغرب بمبدأ المقاربات، أو المقارنات، ثم المقابلات والمعارضات، ثم ننتهي بعد ذلك إما أن نرفض ما يأتون بها جملة وتفصيلاً، أو نقبله بروح انهزامية جملة وتفصيلاً، أو نتخير منه انتقاءً عشوائياً متحيزاً له أو عليه.

❖ **المهمة قرآنية وكذلك عالمية:** بعد أن كان الغزو سابقاً غزواً فكرياً بعقلية مجردة تصدى لها أسلافنا في عهود الإستعمار، فإننا اليوم جزء متفاعل مع العالم المعاصر، نواجه عقلاً علمياً تجريبياً، فكانت صياغة العلوم الطبيعية والإنسانية من نصيبه وبمنهج تجريبي، فكان لا بد من جعل المهمة عالمية لأن الرسالة في أساسها عالمية، ولا يمكن حصرها في إطار عالمنا الإسلامي، "وذلك بالعمل على اختراق النسق الحضاري والثقافي المعاصر برؤية قرآنية كونية وجامعة"، فهذه العلوم لا زالت لم تأخذ بعداً كونياً وهي مقيدة إلى الجزئي المتمثل ببعدها عن التصديق بالغيب، أو رفضها التصديق به.

❖ **منهجية القرآن والمصير الإنساني:** إن الحديث عن ضرورة إيجاد تلك المنهجية وربطها بالكون (الجمع بين القراءتين) ليست من قبيل الترف الفكري، وليست أيضاً مسألة خاصة بالعالم الإسلامي، بل هي ضرورة ملحة للعالم كله شرقه وغربه، مسلمه وغيره، انه المنقذ الوحيد لحسم مسألة الاكتفاء بالخاضع

للتجربة عن كل ما لا يمكن إدخاله المختبر، فالغيب لدى الفكر الوضعي شيء لا قيمة له في تعريفهم للمعرفة، لذلك فقد عرفت اليونسكو المعرفة (بأنها كل ما يخضع للحس والتجربة)، لذا فإن كل ما تذكره عن الغيبيات ما هي إلا هرطقات –حسب رأيهم- لا حاجة لنا بها، ويمكن أن تسميها بعلم اللاهوت. هذه هي نظرتهم للغيب، فالنتيجة من ذلك كله الخروج بنظرة قاصرة عن الحياة والكون، وجعل الحياة سواء من الناحية الاجتماعية والنفسية والعلوم الإنسانية بكليتها، أو من ناحية العلوم التجريبية المقتصرة على الذرة، كلها ستكون في شلل فكري تصطدم بحائط النسبية، وكل ما يهم هو (هنا والآن)، فمن التراب وإلى التراب، فلا يهم ما تعتقده إن لم تكن تستدل عليه بإحدى حواسك. "فالوحي كلي يستوعب الجزئي، والقراءة الأولى تأخذ بعين الاعتبار كل الغيبيات والماورائيات على أنها جزء أساسي في المنهج، لا بوصفها مجرد مسلمات يجب الإيمان بها فقط، ولكن بوصفها دليلاً على وجود كوني أكبر من معطيات القراءة الثانية، وهذا ما يعطي الخلق حقيقته الكونية المتكاملة".

******

المأزق الإسلامي

إن المواجهة التاريخية التي كانت وما زالت بين الإسلام كحضارة والغرب كحضارة لا بد من أخذها بعين الاعتبار بحسبانها سبباً من الأسباب الرئيسية لمشكلاتنا الكبرى التي نعانيها الآن كمسلمين، إذ ترجع تلك المواجهة وأسبابها إلى ما قبل ظهور الإسلام في بداية ظهور المسيحية.

في ظل الواقع الذي كان سائداً بعد ظهور المسيحية فإن هذا الدين كان بإمكانه أن يكون ديناً عالمياً لغياب الآيدلوجيات المنافسة له حينها على الساحة، فاليهودية كان ديناً قومياً منغلقاً على فئة معينة،

والزرادشتية كان صعباً لأمم العالم التأقلم معها وتقبلها لارتباطها بالثقافة الفارسية القديمة، وكذلك الهندوسية والبوذية اللتين كانتا لا تحتويان على معنى الخلاص كما هي المسيحية أو باقي الأديان، مما جعلهما منحصرين في حدود وأقاليم محددة في جنوب شرق أسيا مع الكنفوشيوسية التي كانت عبادة الأجداد سبباً من الأسباب المانعة من انخراط غير الصينيين فيها.

ولكن فكرة العالمية ليست من صميم المسيحية على الرغم من إدعاء مفكريهم ذلك، فمن الواضح أن الدين المسيحي ليس ديناً سماوياً بمعنى الدين المنزل في وقتنا هذا بسبب ما دخل فيه مما ليس منه، والعكس بالعكس. ويبدو أنهم قد قالوا بالعالمية بعد أن أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام بأنه سيبعث برسول من بعده يدعى (مُحَمَّد ﷺ) سيكون دينه هو الخاتم وسيكون للناس كافة، فأخبر المسيح عليه السلام حوارييه بذلك، فتم تزوير ذلك بعدهم وألصقت العالمية بالمسيحية على أساس أنها من جوهر المسيحية ومن أساسياتها. كما يمكننا أن نؤكد على تلك الفكرة بأن المسيحية انتظرت ألفي سنة ثم انتبهت لفكرة العالمية تلك، أما الإسلام فلم يكد يمر قرن من الزمان حتى انتشر الإسلام في كافة القارات المعروفة في ذلك الزمان، فدخلته كافة القوميات من عرب وترك وفرس وبربر وأوروبيون ومصريون وغيرهم.

إن فكرة الدين العالمي لم تنشأ في ذهن الإنسان ثم تبلورت وتطورت، ولكنها وحي أوحى الله تعالى به إلى الإنسان، وإلا فلِمَ لم يستطع فلاسفة الإغريق وحكماء تلك العصور القديمة تصور ذلك الدين العالمي؟! فنظراً لإنجازاتهم الفكرية وقوة تأثيرهم وعقولهم كان يفترض أن تنقدح أذهانهم بتلك الفكرة.

لقد أثر الإسلام أيما تأثير على العالم وكانت له أصداء وآثار عميقة في الغرب وفي نطاق المسيحية، فانتشاره السريع كان له أثران حاسمان في الغرب شكل بها تاريخه ومصيره، الأول كان تحلل الوحدة الثقافية لحوض البحر الأبيض المتوسط والتي كانت طيلة قرون طريقة عيش الشعوب في تلك البقعة. أما الثانية فكانت بانتقال مركز المسيحية من روما إلى ايكس لاشابيل حيث قامت الدولة الفرنجية الكارولنجية والتي استلمت قيادة الحضارة الغربية. وكان الإسلام وانتشاره قبل ذلك التاريخ—كما يقول

المؤرخ هنري بيرين- السبب في ظهور العصور الوسطى في الغرب. ومن المؤكد أن الفلاسفة المسلمون كالكندي وابن سينا وابن رشد كان لهم الأثر الكبير في تشكيل القاعدة الفكرية للمجتمع المسيحي لبلوغ عصره الذهبي في القرن الثالث عشر.

وعلى أية حال فقد كان الإسلام ومنذ ظهوره يشكل تحدياً للمسيحية في استحقاق وصف العالمية، فمنذ بداياته في مكة كان الإسلام يواجه المسيحية في تعرية عقائدها وإبطالها، ورافق تلك المواجهة العقدية والفكرية تمدداً إسلامياً سريعاً على كافة المستويات السياسية منها والعسكرية، ثم أضاف الإسلام إلى تلك الضربات للعالم المسيحي بإتيانه بمعرفة ونهج أرقى في البحث العلمي للحقائق العليا، وكان من شأن ذلك أن يعجل بحركة التطور في التاريخ الفكري المسيحي لاحقاً.

ثم إن حصار الحضارة الإسلامية للغرب اقتصادياً والسيطرة على كافة الطرق البرية والبحرية للتجارة قد أجبر الغرب على عزلة اضطرته للبحث عن مصادر أخرى، فدفعه ذلك إلى استجماع قواه وموارده الفكرية، فكانت النتيجة -بالإضافة إلى الاكتشافات العلمية التي حققها والتي كان لها أثر كبير في حياتها وتاريخها- اكتشاف القارة الأمريكية وكذلك الطريق البحري إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح، فبدأ الغرب بذلك محاولته الاستعمارية الأولى بالاستيلاء على الموانئ البحرية الاستراتيجية وعلى مراكز التموين والإمداد في المحيط الهندي وفي مضيق ملاكا.

وعلى كل حال فإن ما نريد قوله بأن الإسلام كان له أثر حاسم في تشكيل التاريخ العالمي منذ ظهوره وعلى مدى ألف سنة على الأقل، وبدأ الغرب بالهجوم المضاد على الإسلام منذ القرن الثالث عشر الميلادي مبتدئاً بالثورة العلمية ثم التوسع الجغرافي شرقاً وغرباً، وإقامة مراكز تجارية في المحيط الهندي خلال القرن السادس عشر مما كان له آثار سلبية خطيرة على الاقتصاد الإسلامي.

إن الحرب الآن هي حرب أفكار بين الحضارتين الإسلامية والغربية أكثر من كونها حرب سلاح وتطور علمي، وقد حاول الغرب ولا يزال غرس قيمه ونظرته للكون والحياة في العقل المسلم تدريجياً من خلال أنظمة التعليم، والذي يهدف بها إلى سلخ المسلم عن الإسلام وحضارته، ونظرة الغرب للإسلام هي نظرة الخصم والذي يشكل خطراً على الأسلوب الغربي في الحياة، وليس ذلك تحدياً للمسيحية الغربية فحسب، بل يتجاوز ذلك ليكون تحدياً للفلسفة الأرسطية ولأسسها-أي الحضارة الغربية- المعرفية المستمدة من الفكر الإغريقي الروماني.

هذا بالنسبة للأسباب الخارجية، أما الأسباب الداخلية لتدهورنا وتراجعنا فيرجعه الأستاذ العطاس إلى ما يطلق عليه (**إنعدام الأدب**)، **ويقصد به إنعدام النظام والانضباط على مستوى الجسم والعقل والروح**، وذلك الانضباط الذي يجعل كل شخص في موقعه ومكانه المناسب، وأن يعرف بأن هناك تراتباً وتدرجاً في المعرفة والوجود ويتصرف بمقتضى ذلك. **ففقدان الأدب** يعني بالضرورة فقدان **العدل**، والعدل -أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه كما يعرفه ابن حزم-، وهذه الوضعية تنم عن التشويش والخلط في المعرفة، فيؤدي ذلك إلى ظهور قادة مزيفين وتصدرهم للموقف، فينجم عن ذلك الظلم وانعدام العدل.

والمأزق العام الذي يواجه المسلمين اليوم يعود إلى الأسباب الآتية:

1. التشويش والخطأ في المعرفة، الأمر الذي كان سببًا إلى:

2. انعدام الأدب على مستوى الأمة. وقد نتج عن السببين الأول والثاني الوضعية الآتية:

3. ظهور قادة غير مؤهلين للقيادة الصحيحة والرشيدة للأمة المسلمة.

المسألة الأساسية التي ينبغي ملاحظتها كما يراها –العطاس- هي مسألة انعدام الأدب، والتي تتلخص في مزاحمة العلماء الأثبات في علمهم، أي أن من هم أقل شأناً من العلماء يحاولون التقليل من

شأن العلماء الكبار بإبراز سقطات وقعوا فيها لاسقاط هيبتهم من القلوب، ثم يحاولون أن يتصدروا الموقف دون أن يتحصلوا على القدر الكافي للعلم الذي يجعلهم مساوين لأولئك العلماء الذين ينتقدونهم، وهم لا يعترفون بالتراتب الهرمي في السلطة العلمية من حيث الإمكانات العقلية والذهنية والمعرفة الروحية والتحلي بالفضيلة، وبالتالي فإن كلمة العلماء الحقيقيين لا تكون مسموعة بعد أن يحاول من هم أقل منهم شأناً التصدر على حسابهم وانتقادهم في كل صغيرة حقاً وباطلاً. وسبَّب ذلك التشويش الحاصل على مستوى الفرد في معرفة الإسلام ورؤيته للوجود، فذلك التشويش يُكوِّن لديه نوعاً من الفردية المفرطة والثقة الزائدة بالنفس تجعله يظن نفسه مكافئاً للعلماء الأثبات فيتكون لديه نوع من العناد والكبرياء فلا يستمع إليهم فنفقد بذلك المراجع التي يمكن الرجوع إليها في الملمات.

وكما ذكرنا فإن من أبرز علامات انعدام الأدب هو (التسوية والتسطيح)، والتي تعني أن الجميع متساوون في فهم الإسلام ولا يحق لأحد احتكار فهمه، ويشجعون ظاهرة أن يكون الكل مساوياً ومكافئاً للشخص المسوى به من عالم أو مفكر، متجاهلين بذلك التباين الذهني والعقلي والجهد المضني الذي بذله العلماء الحقيقيون للوصول إلى ما وصلوا إليه، فيعتقدون بأن دراستهم السطحية للإسلام تعطيهم القدرة في فهم الإسلام كما يفهمه العلماء الحقيقيون بل أفضل منهم، وهذه هي مسألة انعدام الأدب بحد ذاتها.

ومن الواضح أن هذا النفر من القوم لا يجعلون من الإسلام منطلقاً لتفكيرهم، بل رجالاً كـ(روسو، وكونت، ومل) هم من يتصدرون قائمة قدواتهم، وبالتالي فهم يحاولون تكييف الإسلام مع نماذجهم العليا، وكذلك هناك مشكلة كبيرة، وهي تقديم مصلحة الوطن على مصلحة الإسلام والتي تنعكس بالضرورة على ولائهم للإسلام والذي يأتي عند غالبيتهم في المرتبة الثانية في أفضل الأحوال.

ولا بد هنا من ملاحظة أمر مهم للغاية لا يجب أن نغفله، إن السطحية التي يتمتع بها هؤلاء الذين يحاولون تصدر الموقف والذين صدمتهم إنهيار الامبراطوريات الإسلامية فإنك تجدهم يشغلون أنفسهم

أكثر ما يشغلونها بعلم الاجتماع والسياسة، فهم يرون بأن التركيز على إصلاح الأمة والدولة في الإسلام أولى الأولويات، وبالتالي فهم يهملون جانباً أكثر أهمية في العملية برمتها، ألا وهي إصلاح الفرد، فإذا سألتهم عن سبب تدهور أوضاع المسلمين فسيقولون السياسة والحاكم، والذين يديرونها بالضرورة أفراد من هذه الأمة، فالعوار والتشويش الذي أصاب هؤلاء الحكام والسياسيين معرفياً إنما سببه يعود إلى إهمالنا لبناء الفرد والذي هو بدوره سيكون سياسياً وحاكماً مستحقاً لذلك المنصب الذي يتولاه إن تم إيلاءه الأهمية كما هو الحال مع سائر أفراد الأمة. إذن الفساد في القيادة هي نتيجة وليس علة، فعلينا أولاً إزالة التشويش في المعرفة، ووضع كل شيء في موضعه الحقيقي وبذلك فلن نكون بحاجة لمواجهة هذا النوع من السياسين والحكام الفاسدين. فمع ما للسياسة والاجتماع واصلاح الأمة ككل أهمية كبيرة، فإن ذلك لا يدعونا إلى إهمال الجانب الأكثر أهمية، وهو إصلاح الفرد، فالأمر مطلوب على الجانبين بتقديم الأهم فالمهم.

و**أهمية الفرد تكمن في ضرورة تحديد معاني العقل والفضيلة والنفس ومعرفة مصير الإنسان وغايته** لنكون جاهزين فكرياً لتقديم حلول للمشاكل التي نواجهها، ذلك أن هذه المفاهيم ليست متاحة للفهم عن طريق علم النفس المعروف بصيَغهِ الغربية، ولكنه مغروس في ذات الفرد ومتأصل فيه، ولذلك فإن علينا فهمها عن طريق الأصول الإسلامية بالطريقة التي بينها علماؤنا الكبار من أهل الذكر والبصيرة. فهذه هي الطريقة الوحيدة لكي نبني منظومة تربوية تعليمية على أسس إسلامية في إطار القرآن الكريم لصنع جيل بل أجيال من المسلمين صالحين غير مشوشين معرفياً، يشاركون بفعالية في بناء وإقامة الدولة الإسلامية.

إن إهمال هذا الجانب– أي بناء الفرد– سيترك بطبيعة الحال فراغاً سيملؤه بلا شك العلمانيون والنظم العلمانية في التربية والتعليم، والذي بالتالي سيشكل كارثة في سلخ الأمة وعقلها وتفكيرها عن هذا الدين إلى ما هو أكثر من مجرد نظام آخر مختلف عنه، بل إلى عدو للإسلام والذي بكل تأكيد سيسهل الأمر

عليهم للقضاء عليه، بل هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القضاء على هذا الدين، وذلك بغزو عقول المسلمين وصياغة طريقة تعليم أبنائهم. ونحن لسنا مجدبين من النماذج الحية الرائعة من العلماء الذين كانوا أهل عمق فكري وبصيرة عقلية وعرفان روحي، ولدينا بطبيعة الحال موروث ورصيد غني من المعرفة بمعاني العقل والفضيلة، الأمر الذي يجعلنا مؤهلين بقوة للتصدر وتحويل مجرى التاريخ كون هذه القيم والتعاليم هي ذات طبيعة عالمية كونية يمكن أن يتبناها العالم بأسره، ولكن لا بد من إثباتها من قِبلنا نحن المسلمين المؤمنين بعالمية الرسالة.

إذن فالمشكلة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى، فانعدام التربية الإسلامية الصحيحة سيؤدي بالضرورة إلى التشويش والاضطراب، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى الانحراف في العقيدة والعمل، ما ينتج منه ظهور قادة مزيفين سواء على مستوى الحكم أو على مستوى الفكر، فينشغل قادة الفكر المزيفين هؤلاء بالبحث والتمحيص في كل قضية خلافية ويثيرونها في أبواب الفقه، ويحصرون كل شيء في دقائق فقهية وتقوم معارك كلامية قد تصل إلى أكثر من التبديع والتفسيق، فتجد الغير مطلع أو ما يسمى بالعوام يقف أمام جبال من الآراء الفقهية المتناقضة المختلفة وكل يفتي على هواه، فيضل ويشقى.

وقد اكتفى هؤلاء بتربية المسلمين وتعليمهم الأساسي فيما هو فرض عين للتعليم الأساسي في سن الطفولة، وفي المقابل اهتموا بتطوير ما يعتبر فرض كفاية. فأدى ذلك إلى نمو التوجه العلماني وتطوره في حياة المسلم على حساب معرفته بأساسيات الإسلام وتعاليمه، فأصبح يقضي معظم مراحل حياته بالتزود بالمعرفة في كافة شؤون الحياة ولا يتلقى مقابل ذلك إلا القليل من المعرفة عن الإسلام. فكانت النتيجة مسلمون ضعفاء معرفياً فيما يتعلق بدينهم، ومنهم أصبحوا قادة ضعفاء وخطرون في الوقت نفسه، إذ توقف فهمهم ومعرفتهم للإسلام عند مرحلة الطفولة. إن هذا الإهمال لما هو يعتبر فرض عين والاهتمام البالغ بما هو فرض كفاية أولى اهتمام الأمة بأسرها إلى مسائل الحكم والسياسة والاجتماع وإدارة الدولة، وأهملوا ما هو فرض عين بالموازنة بين ما سبق وبين الاهتمام ببناء الفرد بناءً إسلامياً

صحيحاً، وأصبحت علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون مقدمة بأشواط على بناء هذا الفرد فكرياً وعقدياً ليصبح قادراً على التصدي لمشاكله الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكافة شؤون حياته بطريقة إسلامية صحيحة تنسجم مع ما أمر الله تعالى به ومع الطبيعة الإنسانية والمصلحة العامة للبشرية جمعاء.

إن التحديثيين أو من يسمون أنفسهم (العقلانيون) يريدون عقلنة الإسلام بطريقة تلائم العقلية الغربية، ويحاولون موائمتها مع العقل الغربي متجاهلين بذلك الأبعاد الروحية فيما ورد في القرآن وفي السيرة النبوية محاولين تمهيد الطريق لـ(الإسلام المعلمن). بالإضافة إلى محاولة موائمة النظريات الاقتصادية والسياسية الإسلامية مع ما يخترعه الغرب، فقالوا بالاشتراكية الاسلامية وغيرهم بالرأسمالية الإسلامية وكأن الإسلام لا يستطيع إلا أن يكون هذا أو ذاك، وذلك إنما يدل على كسلهم وجهلهم لدرجة أنهم ينتظرون الغرب لكي يفكر نيابة عنهم دون أن يستطيعوا أن يبلوروا فكرتهم عن الإسلام دون تأثر بآيدلوجيات الغرب.

هذا بالنسبة للحداثيين، أما التقليديون فعلى الرغم من عدم تبعيتهم الفكرية للغرب وعدم اتفاقهم مع الحداثيين فيما يدعون إليه، إلا أنهم قد أصيبوا بداء (تكييف الإسلام اجتماعياً) ومحاولة تجريده من أبعاده الروحية وتسطيح المسلمين بوضعهم جميعاً في سلة واحدة ومستوى واحد. هم بذلك يساعدون– قد يكون بغير قصد– في عملية (علمنة) الإسلام. إن التقليديين والتحديثيين يتهمون التصوف بأنه سبب انحطاط المسلمين، وأنه ظهر وازدهر في أكثر مراحل المسلمين انحطاطاً، ويتجاهلون بذلك أو لا يعرفون أن التصوف هو جزء من الإسلام، ولكل حقيقة باطن وظاهر، والتصوف هو الباطن للإسلام بالممارسة الصادقة الصحيحة، فالتصوف هو التعبير عن الإحسان، إذ أن أساسه الحكمة والعلم اللدني، يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده، فهي إذن معين الأدب الحقيقي كونها مستمدة من القرآن بحسب مفرداته ومصطلحاته، ومبنية على السيرة النبوية تأويلاً وممارسةً.

وهناك نوع آخر ممن يمكن تسميتهم بالعلمانيين المسلمين الذين يسعون وبطريقة فجة لسلخ المسلمين عن إسلامهم، وخاصة في ماليزيا واندونيسيا بسبب تأخر عملية الأسلمة نسبياً في هذين البلدين عن غيرهما من البلدان الإسلامية، وكذلك تعرضها للانقطاع بسبب الاجتياح الامبريالي والثقافي الغربي.

وقد قام المنظرون ورجال الإدارة في سعيهم لسلخ المسلمين عن إسلامهم في هذين البلدين باقامة نظام تعليمي تربوي علماني يركز على العرق والثقافة التقليدية، وتم في المستويات العليا للتعليم باعتماد النماذج الغربية من مناهج المستشرقين في دراسة الأدب والثقافة، فأصبحت مسألة انعدام الأدب بسبب هؤلاء العلمانيين أمراً واقعاً واضحاً وضوح الشمس، والذي من نتائجه تحويل اللغة المحلية من أبجديتها العربية الأصيلة إلى الأبجدية اللاتينية لفصل المسلمين في هذه البلدان تدريجياً عن الإسلام (قرآناً وسنة).

إن هؤلاء المسلمين العلمانيين هم المسؤولون عن تثبيت أقدام الغرب في بلداننا، وفصل البلاد الاسلامية عن بعضها البعض بالدعوة الى التقاليد والثقافات البالية لا لشيء إلا لإزاحة الأرضية المشتركة بين المسلمين وهو الإسلام واستبدالها بأرضية ضيقة تافهة بالية تدعى القومية والثقافة المحلية والترويج لها بكل قوة.

إن الأسلحة المعرفية التي يستخدمها هؤلاء لسلخ المسلمين عن دينهم وثقافتهم الإسلامية منطلقة من فكر علماني غربي لا بد من أسلمتها واخضاعها لمبادئ ومناهج إسلامية، وتكييفها وفق صيغة تجعلها غير ضارة، وإلا فإن الخروج من عنق الزجاجة سيكون مجرد شعار لن يتحقق طالما أنهم يصولون ويجولون دون رقيب من المفكرين المسلمين.

إذأ فانعدام الأدب لا يقتصر فقد على انعدام المعرفة، بل يتجاوز ذلك إلى عدم القدرة على التمييز بين القادة الحقيقيين عن غيرهم. علينا إذن وبعد إزالة التشويش المعرفي ومعرفة قادتنا الحقيقيين ووضعهم في موضعهم الذي يستحقونه ونتبعهم ونسير ورائهم بكل تواضع للخروج من هذا المأزق، وليس كما

يعتقد من يدعون بالاصلاحيين والحداثيين بأن ذلك يكاد يكون عبادة، فاتباعهم لا يكون في معصية، ولكنها التراتبية في القيادة سواء في مجال الحكم أو في مجال الفكر.

أختم هذا الفصل بالتأكيد على ضرورة معرفة أساتذة الماضي ووضعهم موضعهم الذي يستحقونه، فلولا ما قدموه لنا من فهم للإسلام لما كان لنا أن نصل إلى الفهم الصحيح لهذا الدين أبداً، ولا يمكن لنا أن نستبدلهم بهؤلاء القادة المزيفين الجدد على اعتبار انهم جدد يفهمون الواقع أكثر ممن مضوا وعدم ملاحظة زيف هؤلاء الجدد، كما فعلت زوجة علاء الدين باستبدالها المصباح القديم بالجديد غير مدركة القيمة العالية للقديم. ويبقى ذلك معتمداً على مستوى التشويش والاضطراب المعرفي لدى المسلمين في وضع كل شخص محله، وعدم التسوية والتسطيح بين الجميع على اعتبار أن الإسلام يمكن للجميع فهمه، وهي كلمة حق يراد بها باطل، فيمكن للجميع فهمه بشرط أن يستحصل شروط الفهم مما استحصله من سبقه من العلماء الربانيين.

إذن فمهمتنا هي وضع القادة الحقيقيين في موضعهم الحقيقي، وإعادة النظر في صور التحريف التي أذاعها المزيفون بالرجوع إلى المصادر الأصلية، بالإضافة إلى معرفة مقدماتهم لتلك النتائج التي توصلوا اليها، والطريقة التي سلكوها أغربية علمانية معادية هي أم إسلامية، أو على الأقل منصفة؟!

****

تحرير المعرفة من الرؤية الغربية

إن التحدي الأكبر الذي واجه وجودنا في يوم الناس هذا إنما يكمن دون مبالغة في المعرفة، ولكن ليست المعرفة التي تضاد الجهل، ولكن المعرفة من وجهة نظر غربية، والتي جعلت الشك منهجاً علمياً معتبرة إياه أداة معرفية مهمة في البحث عن الحقيقة، فأصبحت هذه المعرفة سبباً للكثير من المعاناة والفوضى والاضطراب بدل أن تكون سبباً في سعادة الإنسان وأمنه وسلامه. ومن الضروري أن نؤكد أن

المعرفة ليست محايدة على الاطلاق، فدائماً ما تكون فكرة أو روح معينة تحاول التستر خلف قناع المعرفة، فالمعرفة التي يقدمها الغرب كمثال على ذلك إنما هي معرفة مقدمة من وجهة نظرهم هم للعقل والحقيقة والوجود، لذا فإنهم يؤمنون ثم يبرهنون، فلا يحل لنا أن نأخذ كلَّ ما جاؤوا به والانخداع بأنهم يتمتعون بحس منهجي محايد، فلا حياد في شيء مما يأتوننا به.

إن الحضارة الغربية إنما نشأت من التقاء أو انصهار عدة ثقافات وأديان أدت إلى ما هي عليه الآن، وهي ليست حضارة ذات منبع أصيل، فهو التقاء لحضارات الإغريق والرومان، ثم اندماجها باليهودية والمسيحية، ثم تشكلها بفعل الشعوب اللاتينية والجرمانية والسلتية وشعوب الشمال، وكذلك لا يخفى تأثير الحضارة الإسلامية على تشكل هذه الحضارة الهجينة، لكنهم أعادوا صياغتها وصهرها في ذات البوتقة التي صهرت فيها الثقافات والحضارات الآنفة الذكر فولدت لنا الحضارة التي نراها الآن. إن حاصل ذلك قد ولد لنا ثنائية في الرؤية الغربية نتيجة لكل تلك الثقافات والأديان والأفكار المتصارعة المتضادة التي شكلت هذه الحضارة.

إن نظرة هذه المعرفة للحياة تتمحور حول الإنسان بوصفه كائنا مادياً وحيواناً ناطقاً، من التراب إلى التراب، وليس بعد ذلك شيء، فهو يعتمد على القدرة العقلية للكشف عن أسرار وجوده، ولا يعتمد على شيء قطعي كما نفعل نحن المسلمون في تعاملنا مع الوحي والإيمان به، ولذلك فقيمهم ورؤيتهم في تبدل وتغير مستمر على اعتبار أن الإنسان قادر على أن يضع لنفسه ما ينفعه ويضره وليس بحاجة لمن يفعل ذلك نيابة عنه.

إن بحثهم عن الحقيقة لا يشبع، ورحلتهم لا تنتهي أبداً، كونهم جعلوا الشك في كل شيء، فهو هدف لا يمكن بلوغه إطلاقاً، كحال المسافر الظمآن في صحراءَ، والذي ما إن يجد ماءً زلالاً حتى يمزجه بملح الشك فلا يروي ظمأه مهما شرب، إنها اللاجدوى في أبهى صورها.

فلسفة التربية الإسلامية

تتضمن فلسفة التربية الإسلامية نموذج الإنسان الكامل الراقي الذي يطلب إلى تربية العمل على إخراجه في ضوء علاقاته بالخالق والأنسان والكون والحياة والآخرة.

ولقد تشكلت هذه الفلسفة بفعل عوامل أربعة:

أولًا: عامل عقائدي: وهو تحديد الصلة القائمة بين الخالق والمخلوق.

ثانيًا: عامل اجتماعي: وهو بلورة العلاقات وأنماط السلوك في الدائرة البشرية التي ينتمي إليها المتعلم، وهي دائرة شملت جميع أفراد النوع الإنساني.

ثالثًا: عامل مكاني: وهو أسلوب العيش على الرقعة المكانية التي استخلف الله المتعلم فيها.

رابعًا: عامل زماني: وهو مراعاة البعد الزماني لعمر المتعلم وهو بعد يبدأ في الدنيا ويمتد إلى الآخرة عبر مستقبل لا يتناهى.

وباختصار:

فإذا كان هدف فلسفة التربية عند الغرب عبارة عن إعداد مواطن صالح لخدمة البلد والنظام، فإنّ الهدف الرئيس في فلسفة التربية الإسلامية هو إعداد إنسان صالح ومصلح يخدم نفسه وعائلته ومن حوله في المجتمع، ويبذل بكل ما لديه لحفظ الدين والنظام العام.